مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٥٤)

المرقاة

إلى

مفتاح الجنة "لا إله إلا الله"

للشيخ محمد بن سلطان المعصومي الحنفي

تأليف
عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

المرقاة

إلى

مفتاح الجنة «لا إله إلا الله»

ح) مركز عبدالعزيز الراجحي للإستشارات والدراسات، ١٤٣٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الراجحي، عبدالعزيز عبدالله
المرقاة إلى مفتاح الجنة لا إله إلا الله./ عبدالعزيز عبدالله الراجحي
– الرياض، ١٤٣٨ هـ.
٢٠٢ص ، ١٧ x ٢٤ سم
ردمك ٥-٣-٩٠٩٣٤-٦٠٣-٩٧٨
١- العقيدة الإسلامية أ- العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٣٨/٦٠٧٦

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٦٠٧٦
ردمك: ٥-٣-٩٠٩٣٤-٦٠٣-٩٧٨

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٣٩ هـ - ٢٠١٧م

تمّ الصّف والإخراج
بمركز عبد العزيز بن عبد الله الراجحي
للاستشارات والدراسات التربوية والتعليمية

+966 555448475
+966 535600668
0114455995 / Fax : Ext.108
info@mnaratt.com

المملكة العربية السعودية
الرياض
حي الربوة - مخرج 15
شارع ثنيان بن مقرن مبنى رقم 12
ص.ب. 60558
الرمز البريدي 11555

http://shrajhi.com.sa/
@AlSheikhAlRajhi
@shrajhi
abdulaziz-alrajhi

المرقاة

إلى

مفتاح الجنة «لا إله إلا الله»

للشيخ محمد بن سلطان المعصومي الخجندي

تأليف

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَـدِّمَة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً بن عبد الله رسوله إلى الثقلين، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فإن المسلم الذي هداه الله للإسلام، ووفقه للإيمان، ومنَّ عليه بهذه النعمة قد حصل على خير عظيم؛ فإن لله تعالى خصه بنعمة الإيمان دون الكافر، فجعله يختار الإسلام، ويقبله ويرضاه، ويكره الكفر والفسوق والمعاصي، وهذا فضل من الله ونعمة، ليس بحول المسلم ولاقوته، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحُجرَات: ٧].

فعلى المسلم أن يفرح ويغتبط بهذه النعمة العظيمة التي هداهُ الله إليها ومنَّ عليه بها، فلم يجعله من اليهود ولا من النصارى ولا من الوثنيين ولا من الملاحدة ـ نحمد الله ونشكره ونثني عليه الخير كله ـ، وعليه أن يغتبط بما تبع ذلك من نعم، كالمحافظة على الصلاة، وأداء الزكاة، وعلى الصيام، وحج بيت الله الحرام، وبر الوالدين، والصدقة، والإحسان، فعليه أن يشكر الله على هذه النعمة.

□ التعريف بالمؤلف:

هذه الرسالة ألَّفها الشيخ محمد سلطان المعصومي الخُجَندي، المولود في مدينة خجندة، من طاجاكستان بروسيا عام (١٢٩٧هـ)، والمتوفى بمكة عام (١٣٨١هـ)، وتعلم في بلاده على أبويه وعلى

غيرهما، ثم لمَّا بلغ من العمر ٢٣ عامًا، ظهرت عليه علامات النجابة، وبدأ يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، فلاقى شِدَّة فسافر إلى الحجاز، ودرس في الحرمين، ثم سافر إلى الشام ومصر، ثم بعد ذلك عاد إلى بلده، وعُيِّن مفتياً في البلاد، ثم انتقل وعُيِّن قاضياً، ورجع مرة أخرى إلى بلاد الحجاز، وألَّف هذه الرسالة وهي رسالة عظيمة وقد أثنى عليه العلماء، فأثنى عليه الشيخ محمد بن إبراهيم[1] مفتي الديار السعودية قديمًا، وكذلك إمام الحرم سابقاً عبدالظاهر محمد أبو السمح[2]، حيث يقول ﷺ: «لقد اطلعت على رسالة الأستاذ العلَّامة الشيخ محمد سلطان المعصومي الخُجَندي، الموسومة بمفتاح الجنة (لا إله إلا الله)، فألفيتها رسالة قيِّمة نافعة في التوحيد؛ شارحة معنى لا إله إلا الله كما ينبغي، فعلى الناصحين لأنفسهم الحرص عليها ومذاكرتها وتكرارها، فقد جَمَعَت من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما فُرق في مواضع كثيرة، أكثر الله من أمثال مؤلفها وأعانه على تأليف مثلها ونفع مثلها إنه قريب مجيب، ولا ريب أن الأستاذ في تأليف هذه الرسالة وما تقدم قد قام بواجب النصيحة لله ورسوله ودينه وأمته، فجزاه الله أحسن الجزاء آمين».

---

(١) محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ محمد بن عبدالوهاب (١٣١١هـ - ١٣٨٩ هـ)فقيه حنبلي؛ كان المفتي الأول للمملكة العربية السعودية، كان ﷺ إماماً في العلم والقضاء والفتيا.
انظر: علماء نجد للشيخ عبدالله البسام (١/ ٢٤٢)، ومشاهير علماء نجد (١٦٩)، وروضة الناضرين (٢/ ٣٣٥).

(٢) هو الشيخ عبدالظاهر بن محمد التليني أبو السمح (١٣٠٠هـ -١٣٧٠هـ)، من علماء الأزهر الذين استقدمهم الملك عبد العزيز للإمامة والتدريس بالحرم المكي، بقي إماما للحرم٢٥ عامًا، وهو ﷺ ممن أنشأ دار الحديث الخيرية بمكة؛ له رسائل مطبوعة، منها «حياة القلوب بدعاء علام الغيوب»، و«الأولياء والكرامات»، و«الرسالة المكية» انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ١١).

□ له عدة مؤلفات، منها:

١- هدية السلطان إلى قُرَّاء القرآن.

٢- سند الإجادة في طالب الإفادة.

٣- رفع الإلتباس في رفع الخضر وإلياس.

٤- المشاهدات المعصومية عند قبر خير البرية.

٥- حبل الشرع المتين.

٦- حكم الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد.

□ التعريف بالرسالة:

بيَّن المؤلف في هذه الرسالة أن كلمة التوحيد هي مفتاح الجنة، وأنَّ المفتاح لا بد له من أسنان، والأسنان هي الشرائع من: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وبر الوالدين، وأنَّ من أتى بهذا المفتاح وهذه الأسنان فهو من أهل الجنة، ومن ضيَّع هذا المفتاح أو ضيَّع أسنانه فإنه يحصل له من النقص بحسب نقصه.

والناس في هذا الباب على طُرق، فمنهم من زاد في الأسنان ـ وهذا من البدع ـ، ومنهم من الأسنان عنده معوجة، وهكذا.

والمؤلف رحمه الله محقق؛ ينقل عن أئمة الدعوة، ورسالته هذه رسالة عظيمة[1].

أسأل الله العلم النافع والعمل الصالح، والإخلاص في القول والعمل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

---

(١) تم إثبات نص هذه الرسالة من الطبعة التي حققها/ علي حسن عبد الحميد الحلبي، الناشر: دار الإمام أحمد، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ.

فصل
في الحث على طلب العلم

طلب العلم، وتعلم العلم، وتعليمه طاعة وعبادة من أجلّ الطاعات والعبادات، والعبادة لا تصح ولا تُقبل عند الله حتى يتوفر فيها شرطان:

الشرط الأول: الإخلاص، بأن تكون خالصة لله تعالى، مراداً بها وجه الله والدار الآخرة.

وهذا الأصل هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وإذا تخلَّف هذا حلَّ محله الشرك.

الشرط الثاني: أن تكون موافقة لشريعة الله وسُنة نبيه ﷺ، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].

فـ﴿يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ﴾ أي: يخلص العمل لله، والإحسان: كون العمل موافقاً للشريعة، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢].

وهذا الأصل هو مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله، وإذا تخلَّف هذا الأصل حلَّ محله البدع.

وقد دل على الأصل الأول: قول النبي ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**» متفق عليه[1] «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ**

(١) أخرجه البخاري: كتاب بَدْءُ الوَحْيِ، باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟، رقم (١)، ومسلم: كتاب الإمارة، رقم(١٩٠٧).

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[١] ومفتاح الجنة: لا إله إلا الله.

ودل على الأصل الثاني: قول النبي ﷺ: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»** رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»**[٢].

وهذان الأصلان هما أصل الدين، وأساس الملة، أن تشهد لله تعالى بالوحدانية، وأن تشهد لنبيه محمد ﷺ بالرسالة.

وقد نوَّه الله تعالى بفضل العلم ورفعة أهله، فقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، ويكفي أهل العلم شرفاً أن الله تعالى قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته على أجل مشهود به وهو الشهادة لله تعالى بالوحدانية، قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، أي: إنما يخشى اللهَ الخشية الحقيقية الكاملة العلماءُ، وإلا فكل مؤمن عنده أصل الخشية، ومن لم يخش الله ليس بمؤمن وليس بمحب لله فحتى العاصي عنده أصل الخشية، فكل مؤمن عنده أصل الخوف، وإنما تُفقد الخشية إذا جاء الكفر والشرك، ، وقال

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الجنائز، باب «في التلقين»، رقم (٣١١٦)، وأحمد (٥/ ٢٣٣) من طريق صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مرة، عن معاذ ﷺ.
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». «المستدرك» (١/ ٥٠٣).
وقال ابن الملقن: «هذا الحديث صحيح». «البدر المنير» (٥/ ١٨٩).
وأعلَّه **ابن القطان بصالح بن أبي عريب**، وأنه لا يُعْرَفُ، **وتعقِّب** بأنه روى عنه جماعة، وذكره **ابن حبان** في «الثقات». انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (٣/ ٤١٠)، «البدر المنير» (٥/ ١٨٩)، «التلخيص الحبير» لابن حجر (٢/ ١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الصلح، بَاب إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ، رقم (٢٦٩٧)، ومسلم: كتاب الأقضية، رقم (١٧١٨).

تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ [الأحزاب: ٧]، وأولو العزم الخمسة هم أخشى الرسل: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ [الأحزاب: ٧].

وأخشى أولي العزم الخمسة وأتقاهم: الخليلان: إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

وأخشى الخليلين وأتقاهم: نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وهو أفضل الناس، وسيد البشر، وهو أعلم الناس بربه، وأخشى الناس وأتقاهم له، فعن أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: «وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ؛ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟!»، قَالَ أَحَدُهُمْ: «أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا»، وَقَالَ آخَرُ: «أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ»، وَقَالَ آخَرُ: «أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا»، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: **«أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»**[1].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، بَاب التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣] الْآيَةَ، رقم (٥٠٦٣)، ومسلم: كتاب النكاح، رقم (١٤٠١).

والعلم هو الفقه في الدين، قال ﷺ: «**مَنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»(١)، قال العلماء: هذا الحديث له منطوق وله مفهوم؛ فالمنطوق: أن من فقَّهه الله في الدين فقد أراد به خيراً، والمفهوم: أن من لم يفقهه الله في الدين لم يرد به خيراً، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

• **والفقه في الدين** عام، فهو في أسماء الله وصفاته، وفي أحكام الشرع، ولذلك كان **الفقه فقهان**:

- **فقه أكبر**: وهو علم أصول الدين وما يتعلق به.

- **فقه أصغر**: وهو علم الفروع، كأحكام الصلاة والصيام والطهارة.

ومن النعم التي يفرح بها المؤمن نعمة التفقه بالدين.

۞ **والفرح فرحان:**

١- فرح برحمة الله وفضله، فعلى طالب العلم أن يفرح بتوفيق الله تعالى له وإحسانه إليه، بهذه النعمة العظيمة، فالعلم هو وراثة الأنبياء، قال ﷺ: «**وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وإنما وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»(٢)، وبطلب العلم بإخلاص يسهل طريق الجنة؛ قال ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، بَابٌ مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، رقم (٧١)، ومسلم: كتاب الزكاة، رقم (١٠٣٧).

(٢) أخرجه أبو داود: كِتَاب الْعِلْم، بَاب الْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْم، رقم (٣٦٤١)، والترمذي: كِتَاب الْعِلْم، بَاب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْفِقْهِ عَلَى الْعِبَادَةِ، رقم (٢٦٨٢)، وابن ماجه، المقدمة، بَاب فَضْلِ الْعُلَمَاءِ وَالْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْم، رقم (٢٢٣).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، رقم (٢٦٩٩).

٢- فرح الأشر والبطر؛ كما قال تعالى في قصة قارون: ﴿۞ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [القصص: ٧٦]، وكما قال تعالى في أهل النار: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [غافر: ٧٥-٧٦].

ويجب أن يكون طلب العلم لله، لا رياء، ولا سمعة، ولا لأجل مجاراة العلماء، ولا مماراة السفهاء، وإنما يتعلم العلم ليعبد الله على بصيرة، فالمسلم عليه أن يجاهد نفسه على الإخلاص.

• **والعلم الذي بعث الله به نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ثلاثة أنواع:**

النوع الأول: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا أشرف العلوم؛ فشرف العلم بشرف المعلوم، وأشرف معلوم هو الله ﷻ، فأول ما يجب على الإنسان هو أن يعرف ربَّه، ومعبوده، فتعرف أن ربك هو: الله، الرحمن، الرحيم، السميع، البصير، الملك، القدُّوس، تعرف الله بأسمائه وصفاته.

النوع الثاني: العلم بدين الله بالأوامر والنواهي، فتنتقل إلى أن تعلم حقه الذي خلقك من أجله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] نعبد الله بفعل الأوامر وترك النواهي، وبالذل والخضوع وغاية الحب.

النوع الثالث: العلم بالجزاء يوم القيامة - جزاء أهل التوحيد - فتعلم أنَّ الله أعدَّ لهم دار الكرامة وهي جنته؛ فرضي عنهم، ومتَّعهم برؤيته، وجزاء من ترك التوحيد وكان مُشركًا هو العذاب والنار.

وماعدا هذه الأقسام من علم الصناعة، والزراعة، والطب،

والصيدلة والهندسة، والجيولوجيا، والكيمياء، والكهرباء، وغيرها من العلوم هي من فروض الكفاية، إذا تعلَّمها المسلم وحَسُن قصده ونيته، بأن ينفع المسلمين ويغنيهم عن أعدائهم، فلا بأس أن يتعلم هذه العلوم من أجل الدنيا وهو مأجور، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥-١٦]، ومن تعلمها من أجل الدنيا فلا إثم عليه

فينبغي للمسلم أن يحرص على طلب العلم حتى ينال الأجر والثواب الذي رتبه الله تعالى على تعلم العلم وتعليمه، وحتى يكون ممن يسلك الطريق إلى الجنة.

ولم يأمر الله تعالى نبيه أن يسعى بالاستزادة من شيء إلا من العلم، قال سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤] ولم يقل زدني مالاً أو جاهاً.

وينبغي للمسلم أن يحرص على إصلاح النية وإصلاح القصد حتى يكون قصده وجه الله والدار الآخرة.

قيل للإمام أحمد رحمه الله كيف ينوي طالب العلم؟ قال: «**ينوي أن يرفع الجهل عن نفسه وعن غيره**»(١).

* * *

---

(١) انظر: «طبقات الحنابلة» لأبي يعلى (١/ ٣٨١)، و«الفروع» لابن مفلح (٢/ ٣٣٩)، و«الآداب الشرعية» له (٢/ ٣٧)، و«مسائل ابن هانئ» (٢/ ١٦٨).

فصل

شروط كلمة التوحيد ـ لا إله إلا الله ـ:

الشرط الأول: العلم المنافي للجهل.

الشرط الثاني: اليقين المنافي للشك.

الشرط الثالث: الإخلاص المنافي للشرك.

الشرط الرابع: الصدق المانع من النفاق.

الشرط الخامس: المحبة المنافية للبغض.

الشرط السادس: الانقياد لحقوقها ـ وهي الواجبات الصلاة والصيام والزكاة ـ.

الشرط السابع: القبول المنافي للترك.

وزاد بعضهم شرطاً ثامناً: **وهو الكفر بكل ما يُعبد من دون الله.**

فلا بد من أداء هذه الشروط حتى تتحقق كلمة التوحيد، أمَّا من قال: لا إله إلا الله بلسانه، ونقضها بأفعاله فإنها لا تنفعه، بدليل أن المنافقين يقولونها، وهم في الدرك الأسفل من النار، إذ لم يقولوها عن صدق بل عن قلوب مُكَذِّبة.

❊ ❊ ❊

فـصـل

إعراب كلمة (لا إله إلا الله) على النحو التالي:

«لا»: نافية للجنس ـ من أخوات إنَّ ـ تنصب المبتدأ وترفع الخبر.

«إلهَ»: اسم جنس، وهو اسمها منصوب، والخبر محذوف، وتقديره: حقٌّ.

«إلَّا»: أداة استثناء.

«الله»: بدل من الخبر المحذوف.

* * *

والإله معناه: المعبود، فالمعنى لا معبود بحق إلا الله.

وهذا خلاف ما عليه أهل البدع من الأشاعرة والصوفية الذين يفسرون الإله بأنه القادر على الاختراع، فيقولون في معنى لا إله إلا الله: لا خالق إلا الله، وهذا من أبطل الباطل، لأنه لم يتعدَّ توحيد الربوبية، ولو كان معناه لا خالق إلا الله لصار كفار قريش مؤمنين؛ لأنهم يقولون: لا خالق إلا الله[1].

* * *

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢/ ٣٨)، (٥/ ٥٦٥)، (١٠/ ٣٣١)، و«درء تعارض العقل والنقل» (١/ ٢٢٦)، (٦/ ٥٦)، و«شرح حديث النزول» (ص١٧٨)، و«منهاج السنة النبوية» (٣/ ٣٣٠/ ٣٣١)، و«مدارج السالكين» (١/ ١٧٤)، (١/ ٣٣٦-٣٣٩).

مقدمة المصنف

الحمد لله الذي جعل مفتاح الجنة لا إله إلا الله؛ وشرط في مادتها الإخلاص واليقين إلى منتهاه، وجعل لهذا المفتاح أسناناً معلومة؛ وسمَّى المجموع ديناً؛ وقد أكمل هذا الدين وأتمَّه تماماً؛ فمن ألحق به ما لم يكن في عصر التنزيل فقد كذَّب الله ورسوله؛ وارتكب إثماً كبيراً؛ وقد خَسِرَ في الدارين خسراناً مبيناً، فما ابتدعه مردود عليه وإن ظنَّه حسناً وأحسنه صنعاً، فيا خسارة المبتدع المغرور المفتون الذي قد غرَّه هواه ونفسه أو شيطانه وشيخه فإنه قد ضيَّع عُمرهُ فيا خسارة من هذا حاله، فإنه سيُطرد عن حوض رسول الله ـ الكوثر ـ.

ويقول رسول الله ﷺ في حقهم إذن: «فَسُحْقًا، سُحْقًا، لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي».

الشَّرْح

○ قوله: «**الحمد لله**»، الألف والام في «**الحمد**» للاستغراق، فجميع أنواع المحامد مستغرقة لله مِلكًا واستحقاقًا، فهو المالك والمستحقُّ لها، والحمد معناه: الثناء على المحمود بصفاته الاختيارية مع حبه وإجلاله وتعظيمه، والحمد أكمل من المدح، فالمدح لا يستلزم الحب، فقد تمدح الإنسان وأنت لا تُحبه، وقد يُمدح الإنسان بالصفات غير الاختيارية (كطويل القامة، وجميل الخلقة) وهذا لا صنع له فيه؛ لكن الحمد الثناء عليه بالصفات الاختيارية التي يفعلها باختياره (كالكرم، والجود، والشجاعة).

وأصل الله: الإله، سُهلت الهمزة ثم التقت اللام مع اللام،

فأصبح النطق (الله) وهو المألوه الذي تألهه القلوب محبة وإجلالاً وخوفاً وتعظيماً ورجاءً.

والله هو أعرف المعارف لا يُسمى به غيره ﷻ؛ وبقية الأسماء كلها تأتي صفات الله، فالله علمٌ على ربنا ﷻ لا يُسمى به غيره، وكل اسم من أسماء الله مُشتمل على صفة (فالله مشتمل على صفة الألوهية)، ولهذا قالابن عباس رضي الله عنهما: «**اللهُ ذُو الألوهية وَالْعُبُودِيَّةِ عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ**»(١).

والرحمن مشتمل على صفة الرحمة، والعليم مشتمل على صفة العلم، والقدير مشتمل على صفة القدرة، والسميع مشتمل على صفة السمع، والبصير مشتمل على صفة البصر، الحكيم مشتمل على صفة الحكمة وهكذا، كل اسم من أسماء الله مشتمل على صفة؛ لأن أسماء الله مُشتقة وليست جامدة، بخلاف الصفات لا تُشتق، فمثلاًالعلم لا تشتق له العالم.

○ قوله: «**الذي جعل مفتاح الجنة لا إله إلا الله**» ذكر البخاري في صحيحه: أنه قِيلَ لِوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: **أَلَيْسَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِفْتَاحُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ»**(٢).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره «جامع البيان» (١/ ٢٣/ ١٤١).

(٢) أخرجه الْبُخَارِيُّ في صحيحه معلقًا: كتاب الجنائز، بَابُ مَا جَاءَ فِي الجَنَائِزِ، وَمَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ (٢/ ٧١)، ووصله الْبُخَارِيُّ بسنده في «التاريخ الكبير» (١/ ٩٥) برقم(٢٦١) فقال: قَالَ لي إسحاق: أَخبرني عَبدالملك بْن مُحَمد الدِّمارِيّ، سَمِعَ مُحَمد بْن سَعِيد بْن رُمّانَة، سَمِعَ أباه، عَنْ وهب بْن مُنَبِّه، قَالَ: «لا إله إلّا الله مفتاح الجَنَّة، وَلَيْسَ مِن مفتاح إلا ولَهُ أسنان». وقال الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (١٢/ ٣٣٤/ ٢٨٩٣): «هَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ مَوْقُوفٌ وَقَدْ عَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ لِوَهْبٍ».

الأسنان هي الشرف التي تكون في المفتاح وكانت الأبواب سابقاً من الخشب قبل أبواب الحديد وكانوا يجعلون المفتاح لباب الخشب عوداً من الخشب وله أعواد مثل أعواد الكبريت والباب في خروق ويُدخل المفتاح في الخروق فيفتح الباب ـ فهذه التي تسمى الأسنان ـ.

○ قوله: «**وشرَط في مادتها: الإخلاص واليقين إلى منتهاه**»، الإخلاص لا بد منه، وهوالإخلاص المنافي للشرك، فلو قال: لا إله إلا الله؛ ثم ذبح لغير الله انتقضت عليه كلمة التوحيد ولم تنفعه، لماذا؟ لأنه فُقِدَ الإخلاص وجاء الشرك.

ولو قال لا إله إلا الله، ثم سبَّ الله أو سب الرسول أو سبَّ دين الإسلام بطلت كلمة التوحيد ولم تنفعه؛ لأنها ليست مع إخلاص وهكذا، فلا بد من الإخلاص المنافي للشرك؛ واليقين المنافي للشك والريب، فإن المنافقين يقولونها وليس عندهم يقين بل عندهم شك وريب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة: ٤٥].

○ قوله: «**وجعل لهذا المفتاح أسناناً معلومة**»الأسنان هي الشرائع مثل: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وترك المحرمات.

○ قوله: «**وسمَّى المجموع ديناً، وقد أكمل هذا الدين وأتمَّه تماماً**» أي: المفتاح كلمة التوحيد والأسنان هو الدين، إنَّ الدين عند الله الإسلام، والله تعالى أكمل هذا الدين، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

○ قوله: «**فمن ألحق به ما لم يكن في عصر التنزيل فقد كذَّب الله و رسوله وارتكب إثماً كبيراًوقدخَسِرَ في الدارين خسراناً مبيناً**» أي: من زاد في الدين ما ليس منه كأهل البدع من الصوفية وغيرهم.

يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٧]، فَيُقَالُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ»[(١)]، وفي اللفظ الذي ذكره المؤلف «**فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي**»[(٢)].

قال العلماء: هؤلاء هم الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ هم الأعراب الذين لم يثبت الإيمان في قلوبهم، أما الصحابة الذين صحبوا النبي ﷺ ولازموه فهؤلاء ثبَّتهم الله تعالى، وفي هذا دليل على أنَّ النبي ﷺ لا يعلم الغيب، وأنَّه لا يعلم أعمال أمته، وفيه الرد على الحديث المشهور الذي فيه أن النبي ﷺ يقول: «**حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَيُحَدَّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا كَانَ مِنْ حَسَنٍ حَمِدْتُ اللهَ عَلَيْهِ، وَمَا كَانَ مِنْ سَيِّئٍ اسْتَغْفَرْتُ اللهَ لَكُمْ**»[(٣)]، فلو كانت تُعرض عليه أعمال أمته لكان يدري ما فعلوا ولا يُقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن؛ بَابُ ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٧] برقم (٤٦٢٥)، ومسلم: كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا؛ برقم (٢٨٦٠).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ الفِتَنِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] برقم (٧٠٥٠)، ومسلم: كتاب الفضائل: برقم (٦٢).

(٣) أخرجه البزار في مسنده (٥/ ٣٠٨)، والحارث في مسنده (٢/ ٨٨٤)، قال في إتحاف الخيرة المهرة (٧/ ٧٤): «هَذَا مُرْسَلٌ ضَعِيفٌ جِسْرُ بْنُ فَرْقَدٍ الْقَصَّابُ أَبُو جَعْفَرٍ الْبَصْرِيُّ مُجْمَعٌ عَلَى ضَعْفِهِ وَلَمْ أَرَ مَنْ وَثَّقَهُ».

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وميزان هذا المفتاح ومعياره إنما هو ما جاء به سيدنا محمد رسول الله ﷺ وهو كتاب الله تعالى (القرآن)، وسُنَّة الرسول الصحيحة الثابتة بالعيان في دواوين أهل العلم والعرفان.

وأمَّا أهل البدعة فقد زادوا على ما جاء به رسول الله أشياء: عقيدة وكماً و كيفًا، باستحسان عقولهم القاصرة؛ بل الفاسدة أو قياساتهم الكاسدة الباطلة فبعضهم كبَّر المفتاح وضخمَّه وبعضهم زاده أسناناً أو عوّجها بحيث صار المفتاح لا يوافق القفل فلا ينفتح القفل ولا الباب أصلاً، وبعضه قد ينفتح بغاية التعب والمعالجات الكثيرة، فلو أبقى المفتاح والقفل على ما هو عليه لانفتح القفل من أول الأمر كما ورد في شأن السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة دار السلام دخولا أولياً بلا عتاب ولاحساب.

ولكن المبتدعين سولت لهم أنفسهم واعتقدوا كل ما رؤوه حسناً ديناً وثواباً والحال أن الدين ما يُدان به الإنسان ويطلب أجره من مالك يوم الدين والأجر والثواب عند مالك يوم الدين لا عند أحد ممنسواه أصلاً.

وحيث ثبت أن الأمر هكذا فليس لأحدٍ أن يُدَيِّن ديناً أو يُشَرِّع شرعاً و يقول هذا فرضٌ أو سُّنة أو مستحب أو له فضل و ثواب إلا إذا ثبت و صحَّ عن رسول الله ؛ لأن رسول الله لا ينطق عن هواه بل عن وحي رب العالمين الذي هو مالك يوم الدين، فمن أثبت عبادة

أو طاعة أو ذكراً ولم ترد تلك العبادات أو الأذكار عن رسول الله ومع ذلك اعتقد أن في ذلك أجراً و ثواباً فقد أتى بدعوة بلا برهان وهذا باطلٌ قطعاً بل إنه شركٌ أو بُهتان لأنه تشريع بلا سلطان كما أنه غير خفي على كل من آتاه الله عقلاً سليماًوفهماً مستقيماً.

ولذا حذرنا الله ورسوله محمد وكذا خلفاؤه الراشدون ﷺ عن الابتداع في الدين وأوعد المبتدعين بالدين وعيداً شديداً، عصمنا الله تعالى عن الشرك وعن البدع في الدين.

الشَّرح

مفتاح الجنة ليس تفسيره بالهوىٰ، بل مفتاحه ومعياره ما جاء به الرسول ﷺ من العلم النافع وهو القرآن والسُّنة، فيستقيم الإنسان على طاعة الله ويُخلص العبادة ويوحد الله ويؤدي حق الله، وحَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، **فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ؟»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»**(١).

فإذا قيل لك ما هو ميزان أو معيار المفتاح؟ فقل كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، أما المفتاح نفسه فهو الإسلام وهو «**لاإله الله إلا الله**» والله أعلم.

فمن أتى بهذا المفتاح فوحَّد الله وأتى بالأسنان وهي الواجبات

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار، برقم (٢٨٥٦) ومسلم: كتاب الإيمان برقم (٣٠).

وأدَّاها وانتهى عن المحرمات واستقام على طاعة الله ومات على التوحيد دخل الجنة.

○ قوله: «**وأهل البدع فقد زادوا على ما جاء به رسول الله ﷺ أشياء**» مثل: الاحتفال بمولده ﷺ، والأذكار والأوراد الصوفية.

والبدعة: هي الحدث في الدين، قال ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**»[1] أمَّا الحدث في غير الدين فليس ببدعة، كعادة الناس في المأكل والمشرب والمراكب فهذه عادات ليس عبادة، فالحدث في العادات لا بأس به، وإحداث شيء في العبادة هو البدعة.

○ قوله: «**كماً وكيفاً**»: الكم بالعدد والكثرة، والكيف أي: الكيفية.

والسبب الذي جعل أهل البدع يزيدون هو إما استحساناً، وإما قياساً وهما مصطلحان فاسدان.

فعقولهم القاصرة تستحسن هذا، أو يقولون نقيس على ما جاء عن النبي ﷺ من العبادات، فيقال لهم العبادات توقيفية ليس فيها قياس، بل العبادات يوقف بها عند النصوص.

○ قوله: «**فبعضهم كبَّر المفتاح وضخمَّه وبعضهم زاده أسناناًأو عوّجها بحيث صار المفتاح لا يوافق القفل فلا ينفتح القفل ولا الباب أصلاًوبعضه قد ينفتح بغاية التعب والمعالجات الكثيرة، فلو أبقى المفتاح على ما هو عليه لانفتح القفل من أول الأمر**» كمن يزيد صياماً أو احتفالات خاصة، أو لم يؤد الصلاة كما أمر الله ولم يؤد

(١) سبق تخريجه.

الصيام كما أمر الله بحيث صار المفتاح لا يوافق القفل فلا يفتح القفل ولا الباب أصلاً، لأن المفتاح ضخم أو الأسنان معوجة، وبسبب ما حصل من الضعف والنقص في العبادات، فلو أبقى كلمة التوحيد سليمة من الزيادات والأسنان والواجبات سليمة.

○ قوله: «**كما ورد في شأن السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة دار السلام دخولاً أولياً بلا عتابٍ ولاحسابٍ**» يُشير إلى حديث ابن عباس ﷺ في الصحيحين في عرض الأمم على النبي ﷺ: «**أنه قال عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِي مَعَهُ الرَّجُلُ وَالنَّبِي مَعَهُ الرَّجُلَانِ، والنَّبِي مَعَهُ الرَّهْطُ، والنَّبِيُ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ فَرَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ. ثُمَّ قِيلَ لِي انْظُرْ. فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ فَقِيلَ لي انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا. فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ فَقِيلَ هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يُبَيَّنْ لَهُمْ، فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِي** فَقَالُوا أَمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا في الشِّرْكِ، وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النَّبِيَ ﷺ فَقَالَ هُمُ الَّذِينَ لَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»[1].

وكلمة التوحيد، لا إله إلا الله لا تنفع إلا بشروط ثلاثة إذا توفرت هذه الشروط الثلاثة فإنها تنفع:

الشرط الأول: النطق بها مع معرفة معناها.

الشرط الثاني: العمل بمقتضاها ـ والمراد بذلك تحصيل شروطها وهي: الإخلاص، والصدق، والمحبة، واليقين، والانقياد،

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الطِّبِّ، بَابُ مَنْ لَمْ يَرْقِ؛ برقم (٥٧٥٢) ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانِ؛ برقم (٢٢٠).

والقبول) والكفر بما يعبد من دون الله: (والعلم المنافي للجهل).

الشرط الثالث: البعد عما يناقضها ويبطلها - ومما ينقضها الشرك فمن دعا غير الله انتقضت عليه هذه الكلمة، ومن سب الله أو سب الرسول أو سب دين الإسلام بطلت هذه الكلمة وغير ذلك من النواقض.

فإذا نطق الإنسان بهذه الكلمة و عرف معناها، وأنها مشتملة على نفي وإثبات، وأنها تنفي الألوهية عن غير الله وتثبت الألوهية لله، وأتى بشروطها ومقتضاها وابتعد عمَّا ينقضها فهو من أهل لا إله إلا الله.

○ قوله: «**ولكن المبتدعين سولت لهم أنفسهم واعتقدوا كل ما رؤوه حسناً ديناً وثواباً**» أي: الذين أحدثوا في دين الله ما ليس منه؛ لأن البدعة هي الحدث في الدين، والمبتدعة اتبعوا ما زينت لهم أنفسهم واعتقدوا أن كل ما رأوه حسناً هو دينٌ بعقولهم، وهذا خطأ لأن الدين مأخوذ من الشريعة من الكتاب والسُّنة، فالإنسان يتديَّن بما ثبت في كتاب الله وسُّنة رسوله ﷺ لا بالاستحسانات أو بالأهواء والشهوات، خلافاً للمبتدعة كلما استحسنوا شيئاً بعقولهم جعلوه ديناً وثواباً.

○ قوله: «**والحال أنَّ الدين ما يُدان به الإنسان ويطلب أجره من مالك يوم الدين والأجر والثواب عند مالك يوم الدين لا عند أحد ممن سواه أصلاً**» أي: ما يُجازى به الإنسان، والدين له معاني منها:

١- الجزاء والحساب مثل: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤]، أي: يوم الجزاء والحساب.

٢- العبادة مثل: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩] أي: مخلصين له العبادة.

وهنا المراد به الحساب لأن ما يُدان به الإنسان أي: ما يُحاسب عليه الإنسان ويُجازى به، وهؤلاء المبتدعة اعتقدوا أن الدين ما رأوه حسناً، والصواب أن الدين ما يُدان به الإنسان ويجازى به ويطلب أجره من مالك يوم الدين وهو الله تعالى، والأجر والثواب عند مالك يوم الدين لا عند أحد ممن سواه أصلاً.

○ قوله: «**وحيث ثبت أن الأمر هكذا فليس لأحد أن يُدين ديناً أو يشرع شرعاً ويقول: هذا فرض أو سُنة أو مستحبٌ، أو له فضلٌ وثواب، إلا إذا ثبت وصح عن رسول الله ﷺ لأن رسول الله لا ينطق عن هواه؛ بل عن وحي رب العالمين الذي هو مالك يوم الدين**» وهو أنّ الدين هو ما شرعه الله وشرعه رسوله ﷺ، وليس ما يستحسنه الناس، فليس لأحد أن يشرع إلا بدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والقول بأن هذا فرض، وهذا واجب، وهذا مستحب، وهذا محرم، وهذا مباح لابد له من دليل، فالأحكام التكليفية الخمسة (الواجب، المحرم، المستحب، المكروه، المباح)، لا تثبت إلا بدليل من كتاب الله وسنة رسوله، والرسول ﷺ هو المُبَلِّغ عن الله ﷻ.

○ قوله: «**فمن أثبت عبادة أو طاعة أو ذكراً لم ترد تلك العبادة أو الذكر عن رسول الله ﷺ**» فهذا يكون مبتدع، لو أثبت الإنسان صلاة سادسة وهي صلاة الضحى مثلاً وقال: هي فرض نقول هذه بدعة؛ لأن صلاة الضحى سُنة، أما كون الإنسان يثبت زيادة صلاة سادسة فهذا من البدع، كذلك لو زاد في ركعات الفرائض أو النوافل مثلاً فقال: السُّنة أن تصلي الضحى ثلاث ركعات فهذا بدعة، فمن أثبت عبادةً أو ذكرًا خاص كما يفعل بعض الصوفية ولم ترد تلك العبادة أو ذاك الذكر عن رسول الله ﷺ فهو مبتدع.

○ قوله: «**ومع ذلك اعتقد أن في ذلك أجراً وثواباً فقد أتى بدعوى بلا برهان**» أي: بلا دليل والدعوة بدون برهان أو دليل دعوة باطلة قطعاً.

○ قوله: «**بل إنه شرك أو بهتان؛ لأنه تشريع بلا سلطان كما أنه غير خفي على كل من آتاه الله عقلاً سليماًوفهماً مستقيماً**» أي: شرك في العبادة أو جحدٌ لما هو معلوم من الدين بالضرورة، أو بهتان إذا كان دون ذلك، والمراد بالسلطان هنا أي: الدليل.

○ قوله: «**ولذا حذرنا الله و رسوله محمد ﷺ وكذا خلفاؤه الراشدون ﷺ عن الابتداع في الدين**» قد حذر الرسول ﷺ بقوله: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**»(١)، وقال ﷺ: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٢)، محدثات الأمور هي البدع، وثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقول في خطبته يوم الجمعة أما بعد: «**إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا**، ـ والمحدثة: هي البدعة ـ **وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٣).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود: كِتَاب السُّنَّةِ، بَابٌ فِي لُزُومِ السُّنَّةِ، برقم (٤٦٠٧)، والترمذي: كتاب الْعِلْمِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ البِدَعِ، برقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه: في الإيمَان وفضائل الصحابة والعلم، بَابُ اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، برقم (٤٢) وبرقم (٤٣)؛ وقال الترمذي (٥ / ٤٤): «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» وقال الحاكم في المستدرك (١ / ١٧٤/ ٣٢٩): «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ لَيْسَ لَهُ عِلَّةٌ» ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه البخاري: كِتَابُ الِاعتصام بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللهِ، برقم (٧٢٧٧)، ومسلم: كِتَابُ الْجُمُعَةِ، برقم (٨٦٧).

وزاد النسائي: «**وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**»[١].

○ قوله: «**وأوعد المبتدعين وعيدًا شديداً**» أي: توعدهم، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥]، هذا وعيد لمن اتبع غير سبيل المؤمنين وشاق الله ورسوله، فهذا هو المبتدع الذي توعده الله بهذا الوعيد، وهذا الوعيد على من ابتدع في الدين بعد البيان ليس من كان جاهلاً إنما بعد العلم فقال: من بعد ما تبين له الهدى، عصمنا الله عن الشرك وعن البدع في الدين، والعلماء صنفوا مؤلفات في البدع وبيان البدع والرد عليها منها: «**كتاب البدع والنهي عنها**» لابن وضاح؛ وأيضاً: «**الحوادث والبدع**» للطرطوشي، و«**الاعتصام**» للشاطبي، و«**الباعث على إنكار البدع والحوادث**» لأبي شامة، ولا يزال العلماء لهم مؤلفات كثيرة في التحذير من البدع والنهي عنها.

(١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى»: كِتَابُ صَلَاةِ الْعِيدَيْنِ، كَيْفَ الْخُطْبَةُ، برقم (١٧٩٩).

سبب دخول البدع والشرك في الدين

اعلم أن سبب دخول البدع في الدين من وجهين:

أحدهما: القياس وحسن الظن فكثير من الصالحين حسَّنوا ظنهم في أشياء فاخترعوا أشياء وقاسوا أشياء بأشياء؛ والحال أن القياس لا مدخل له في الأمور الدينية التعبدية؛ لأن مبنى العبادات على الاتباع لا على الابتداع؛ فأخطئوا في قياسهم وحسن ظنهم؛ وهم معذورون في ذلك لحُسن قصدهم، والمظنون أنهم إذا نُبِّهوا على ذلك رجعوا وتابوا كما هو مروي عن كثير منهم؛ كما قاسوا الله تعالى بالملوك وقاسوا بما عند الله بما عند الملوك؛ فقالوا بالوسائل والشفعاء فأخطئوا خطأً فاحشاً.

ثم تبعهم من جاؤوا بعدهم فزادوا الطين بلَّة، وأكثرهم غير واقفين على ما جاء به رسول الله ﷺ؛ وغيرعالمين بمعاني القرآن ومقاصده، وكذا الأحاديث الصحيحة، وغالبهم لا يقدر أن يُميز بين الأحاديث الصحيحة الثابتة وبين الضعيف بل الموضوع، فيأخذون بالضعيف الموضوع وهم لا يشعرون.

الشرح

ذكر المؤلف رحمه الله أن سبب دخول البدع في الدين **وجهان**:

الوجه الأول: القياس وحسن الظن، أي: أن الإنسان يقيس على ما ورد في الكتاب والسنة و يحسن الظن فيقول: هذا جيد لا بأس به، أي: الاستحسان بعقله، فبعض الناس صالحون في أنفسهم

يتعبدون لكنهم يستحسنون بعقولهم أشياء ويخترعون أشياء وينسبونها للدين؛ ويقولون هذا من الدين؛ ويقيسونها على ما ورد بزعمهم؛ قال المؤلف: «**والحال أن القياس لا مدخل له في الأمور الدينية التعبدية**»، فالدين والعبادات لا يوجد بها قياس ولا استحسان، فإن من القواعد عند أهل العلم قولهم: «**العبادات توقيفية**»[1]، أي: يقفون فيها عند النصوص فلا يوجد للعقول والاستحسان مدخل في إضافة شيء في الدين.

○ قوله: «**وهم معذورون في ذلك لحسن قصدهم**» أي: إذا كانوا فعلوا ذلك عن جهل لا عن علم، ولا عن تعمد فهم معذورون.

○ قوله: «**والمظنون أنهم إذا نُبهوا رجعوا وتابوا**»، أي: هؤلاء الصالحون إذا كان عندهم حسن قصد وليس عندهم تعمد للباطل؛ إذا نبههم العلماء فإنهم يرجعون ويتوبون؛ وهذا مروي عن كثير منهم.

○ قوله: «**كما قاسوا الله تعالى بالملوك وقاسوا بما عند الله بما عند الملوك؛ فقالوا بالوسائل والشفعاء فأخطئوا خطأً فاحشاً**» ومن شُبههم أيضاً أنهم قالوا كما أنَّ الملك لا تدخل عليه إلا بواسطة، كذلك لا ندعو الله إلا بواسطة، أي: بواسطة الميت، وهذا خطأ، فالله تعالى لا يُقاس بالملوك، ثم قال: وقاسوا ما عند الله بما عند الملوك، فعبدوا الأموات والصالحين والأشجار والأحجار، وقالوا تشفع لنا عند الله، فأخطئوا خطأً فاحشاً فوقعوا في الشرك.

○ قوله: «**ثم تبعهم من جاء بعدهم وزادوا الطين بِلَّة وأكثرهم**

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٧٢)، (٢٢/ ٥١٠)، (٢٧/ ١٣٣)، (٢٩/ ١٦-١٧)، و«الموافقات» (٢/ ٣١٨، ٣٩٦).

غير واقفين على ما جاء به رسول الله ﷺ؛ وغير عالمين بمعاني القرآن ومقاصده؛ وكذا الأحاديث الصحيحة، وغالبهم لا يقدر أن يُميز بين الأحاديث الصحيحة الثابتة وبين الضعيف بل الموضوع؛ فيأخذون بالضعيف الموضوع وهم لا يشعرون» أي: تبع هؤلاء الذين استحسنوا وأضافوا إلى الدين ما ليس منه، فزاد الأمر شده، كما أن الطين لو كان يابسًا ثم بللته يزداد، كذلك فعل هؤلاء، وأكثر هؤلاء لا يعلمون ما جاء به النبي ﷺ ولا يعلمون معاني القرآن؛ ولا يعلمون مقاصد القرآن ولا يعلمون الأحاديث الصحيحة؛ وغالبهم لا يقدرون أن يميزوا بين الأحاديث الصحيحة وبين الأحاديث الضعيفة والأحاديث الموضوعة بل يأخذون بها وهم لا يشعرون، فهؤلاء جاؤوا وسلكوا سبيل من سبقهم وزادوا في الدين ما ليس منه.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وإنَّما كَثُرَ مثل هذا بالمسلمين لأنَّ كثيرا من المشركين والمجوس من البراهمة والهنود والبوذيين أو اليهود والنصارى دخلوا في دين الإسلام أفواجاً؛ وبعضهم كانوا علماء ماهرين في علوم دينهم وحكماء متفلسفين.

وكانوا إنما علموا من الإسلام بعض الظواهر كـ«بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ...» إلخ[1] وليس لهم علم بحقيقة ما جاء به رسول الله ﷺ فخلطوا علومهم الأولى بالعلوم الإسلامية؛ فتفلسفوا في الأمور الدينية فمزجوا ذلك بهذا وهم لا يشعرون بقبح ما فعلوا لقلة علمهم بمقاصد الشريعة في الحقيقة، فجاء من بعدهم وأخذوا بالممزوج؛ وشاع ذلك وذاع إلى أن آل الأمر إلى ما ترى من الشركيات والبدع والضلالات والترهات وسفاسف الخيالات كمرابطة صورة الشيخ حين الذكر والمراقبة، والتوجه إلى أرواح الموتى، والعكوف على قبورهم والنذر لهم والاستمداد منهم وغير ذلك من الترهات، فتنبه.

الشَّرْحُ

○ قوله: «وإنَّما كَثُرَ مثل هذا بالمسلمين لأنَّ كثيرا من المشركين والمجوس من البراهمة والهنود والبوذيين أو اليهود والنصارى دخلوا

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ» برقم (٨) ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، برقم (١٦).

في دين الإسلام أفواجاً؛ وبعضهم كانوا علماء ماهرين في علوم دينهم وحكماء متفلسفين» فهؤلاء الذين جاؤوا بعد الطائفة الأولى الذين استحسنوا بعقولهم عن حسن قصد وعن حسن ظن وإذا نُبِّهوا تنبهوا، جاء بعدهم من سلك سبيلهم وليس عندهم بصيرة، وإنما عندهم الجهل بمعاني القرآن والجهل بالأحاديث، وذلك أنَّ هؤلاء من المشركين والمجوس والبراهمة والهنود والبوذيين واليهود والنصارى دخلوا في دين الإسلام أفواجاً، وبعضهم كانوا علماء ماهرين في علوم دينهم وحكماء متفلسفين، والفلسفة هي محبة الحكمة.

○ قوله: **«وكانوا إنما علموا من الإسلام بعض الظواهر كـ«بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ...» إلخ»** فدخلوا في دين الإسلام ولم يعلموا من الإسلام إلا الظاهر فلم يعلموا باطن الإسلام وظاهره معاً، وهنا كأن المؤلف يشير إلى الشيخ أبو الهدى الصيَّادي[1] وكتابه الذي سمَّاه «ضوء الشمس في قوله ﷺ بُني الإسلام على خمس» فلا يعرفون إلا مجرد الظواهر والتعداد.

○ قوله: **«وليس لهم علم بحقيقة ما جاء به رسول الله ﷺ، وخلطوا علومهم الأولى التي تعلموها ومزجوها بالعلوم الإسلامية فتفلسفوا في الأمور الدينية، فمزجوا ذلك بهذا وهم لا يشعرون بقبح ما فعلوا لقلة علمهم بمقاصد الشريعة في الحقيقة»** أي: مزجوا العلوم

---

(١) أبو الهدى الصيادي الرفاعي؛ محمد بن حسن وادي الصيادي الملقب بـ«أبي الهدى»، صوفي على الطريقة الرفاعية (١٢٦٦هـ - ١٣٢٨هـ). وكان من رجالات الدولة العثمانية في عهد السلطان عبدالحميد الثاني ولد في خاد شيخون، وتعلم بمدينة حلب، وولى نقابة الأشراف بها، ثم سكن بتركيا.

انظر: «الأعلام» للزركلي (٦/ ٩٤) و«طبقات النسابين» للشيخ بكر أبو زيد (ص ١٩٢).

الشرعية بعلومهم التي تعلموها بالفلسفة ولم يعلموا، فجاء من بعدهم وأخذوا هذا الممزوج وانتشر هذا بين الناس؛ وظنوا أن هذا هو الإسلام.

○ قوله: «**فجاء من بعدهم وأخذوا بالممزوج؛ وشاع ذلك وذاع إلى أن آل الأمر وانتشرت الشركيات والبدع والضلالات والترهات وسفاسف الخيالات كمرابطة صورة الشيخ حين الذكر والمراقبة، والتوجه إلى أرواح الموتى، والعكوف على قبورهم والنذر لهم والاستمداد منهم وغير ذلك من الترهات، فتنبه**» قد ظن بعض الناس أنَّ هذا من الإسلام، والإسلام برئ من كل هذه الخرافات، وهذه عادة عند الصوفية إذا أردت أن تصلي أو تصوم فتتخيل صورة الشيخ في ذهنك وهذه عبادة التخيل، تستشعر أن الشيخ أمامك، وهذا من الشرك لأنه عبادة له، كذلك التوجه إلى أرواح الموتى والعكوف على قبورهم ودعائهم من دون الله والنذر لهم والاستغاثة بهم والاستمداد بهم - يعني: طلب المدد - كل هذا من الشركيات، انتشرت بسبب أنَّ هؤلاء دخلوا في الإسلام ولم يعلموا حقيقة الإسلام هذا هو الأمر الأول.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

والوجه الثاني: أن كثيرا من أعداء الإسلام من اليهود و النصارى والمشركين والمجوس وغيرهم لما رأوا أن شوكة الإسلام ودولة أهله قد زادت نمواً وظهوراً وشيوعاً وعجزوا عن المقاومة الظاهرية أدخلوا أنفسهم في الإسلام وتزيوا بزي المسلمين؛ وزيادة على ذلك أظهروا الزهد والتقشف والعلم والورع والتقوى؛ وانتشروا في بلاد المسلمين وساكنوهم؛ فتمكنوا من أن يدخلوا في المسلمين ما أمكنهم من الشركيات والضلالات؛ وأسموها حقيقة وتصوفاً وباطناً كاللطائف الخمس ومرابطة صورة الشيخ المُرَبي والتوجه إلى قبره والنذر له والاستمداد منه وأنه يقدر على ما لا يقدر عليه الأحياء لتجرد روحه عن هذا الجسد الفاني؛ فصار كالسيف الصارم المشهر من الغلاف؛ وأن لله تعالى عباداً من البشر فوض الله تعالى إليهم أمور عباده وبلاده؛ وهم يسمون بالأبدال والأقطاب والنجباء والأوغاث وأمثالهم؛ وهم رجال الغيب، فمن لاذ بهم واستغاث بهم نال مطالبه؛ وهم يوصلونه إلى أعلى درجات الجمال و الكمال؛ ومن أنكرهم أو أنكر ما يصدر عنهم فهو من المحرومين الهالكين؛ وأنه لا يمكن لأحد أن يصل إلى الله تعالى إلا بواسطتهم وتسليم الأمور إليهم، وهم كوزراء الملوك ومقربي السلاطين؛ لا يمكن لأحد أن يصل إلى الملك أو يبَلِّغَ عريضته إليه إلا بواسطتهم، فقبل الناس هذه الوساوس فشاعت وذاعت بين الخليقة فحصل الشيطان مقصده الأعظم ألا وهو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله تعالى أصلاً.

وأمثلة ذلك كثيرة قد بيَّنها العلماء المحققون في كتبهم فعليك

أيُّها الطالب للحق بمطالعة كتب العلماء المحققين وتفهم ما فيها و استعمال العقل وترك التقليد والتعصب لفكرة أو مذهب أو طريقة فإن التقليد لغير المعصوم صادٌّ عن عمى البصيرة ولا تغتر بترهات مؤلاء وأوهامهم بل عليك الأخذ والعمل بكل ما جاء به محمد رسول الله فلن تهلك أبداً ولن تضل سرمداً بحول الله وقوته.

الشَّرْحُ

هذا هو **الوجه الثاني** في سبب انتشار البدع والشرك وهو أن كثيراً من اليهود والنصارى والمشركين والمجوس، دخلوا في الإسلام نفاقاً حتى يتسموا بالإسلام ومن أولئك عبدالله بن سبأ اليهودي[1] في زمن علي ﷺ الذي ابتدع التشيع وجعل يُشيع بين الناس أن السلف ظلموا أهل البيت وظلموا علياً حتى غلوا في علي بعد ذلك حتى زعموا أنه الإله وعبدوا آل البيت، فلمَّا علم علي عن ذلك خدَّ أخدوداً ـ أي: حفر حفراً في الأرض ـ وجعل فيها حطبًا وأشعلها ناراً ثم ألقاهم فيها ـ أي: ألقى الذين غلوا فيه في النار قال:

«لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا أَجَّجْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قُنْبُرًا»[2]

---

(١) عبدالله بن سبأ يهودي مؤسس مذهب الروافض؛ أظهر الإسلام، وكاد للمسلمين كيداً عظيماً، ثم أظهر محبة علي ﷺ، وغلا فيه غلواً شديداً، وهو الذي قال لعلي: أنت الله. وأظهر الطعن في الصحابة وخاصة في الشيخين أبي بكر وعمر ﷺ، ورفض إمامتهما، وادعى الوصية بالإمامة لعلي ﷺ دونهما، وأن النبي نص على إمامته بعده، راجع: المقالات للأشعري (١/ ٨٩) والفرق بين الفرق (ص٢٣٣)، والملل والنحل (١/ ١٧٤).

(٢) أخرجه أبو بكر الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» برقم (١٠٦٥)، وابن الأعرابي في «معجمه» برقم (٦٧) ورقم (١٥٥٣) وأبو طاهر المخلص في «المخلصيات» برقم (٥٤٦) (١٨٠) وعزاه الحافظ في «الفتح» (١٢/ ٢٧٠) للمخلص. وقال: وَهَذَا سَنَدٌ حَسَن.

وقنبراً مولى علي ﷺ، فمن هؤلاء الغلاة عبدالله بن سبأ اليهودي الذي دخل في الإسلام نفاقاً ليفسد على أهل الإسلام دينهم.

○ قوله: «أن كثيراً من أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والمشركين والمجوس وغيرهم» فكثير من أعداء الإسلام دخلوا في الإسلام نفاقاً لما رأوا شوكة الإسلام ودولة أهله أي: لما زادت قوة الإسلام وظهر المسلمون على غيرهم وشاع الإسلام وعجزوا عن المقاومة الظاهرية بدؤوا يكيدون في أمر خفي كأعداء الإسلام الآن لا يستطيعون أن يحاربوا الإسلام بالحرب الحارة بالسلاح، فلما لم يستطيعوا حاربوهم بالحرب الباردة، فالآن ينشرون الفساد عن طريق القنوات الفضائية والشركيات والتشكيك والبدع والتفسخ والعري عن طريق البث المباشر؛ وهذا غزو وهو أشد من الحرب الحارة، إذ لو حاربوا المسلمين لانتصر عليهم المسلمون ولقاتلوهم، لكن حاربوهم بالحرب الباردة وبدؤواينشرون الشرك والفساد والشبه والتفسخ والعري حتى يفسد المسلمون، وحتى يخرج شباب المسلمين وعندهم شبه و شكوك وليس عندهم طمأنينة في دينهم وحتى يكون عندهم أيضاً انحلال خلقي فبذلك ينتصرون عليهم.

هؤلاء كذلك لما رأوا أنَّ الإسلام قوي وانتصر وأنه لا قدرة لهم على محاربة المسلمين دخلوا في الإسلام نفاقاً ؛ فقالوا نحن ندخل في الإسلام ثم بعد ذلك نشروا سمومهم باسم الإسلام وهذا أشد، فصاروا منافقين.

○ قوله: «**لما رأوا أن شوكة الإسلام ودولة أهله قد زادت نمواً وظهوراً وشيوعاً وعجزوا عن المقاومة الظاهرية أدخلوا أنفسهم في الإسلام وتزيوا بزي المسلمين؛ وزيادة على ذلك أظهروا الزهد**

والتقشف والعلم والورع والتقوى؛ وانتشروا في بلاد المسلمين وساكنوهم؛ فتمكنوا من أن يدخلوا في المسلمين ما أمكنهم من الشركيات والضلالات وأسموها حقيقة وتصوفاً وباطناً» أي: أدخلوا أنفسهم بالإسلام وتزيوا بزي المسلمين، فصاروا يصلون كما قيل: «صلى المصلي لأمر كان يطلبه» ليس لله، وصاروا يسمونها طريقة، حقيقة، تصوف باطن، كما يفعل الصوفيون.

○ قوله: «**كاللطائف الخمس**»، وهي من الاصطلاحيات الصوفية وهي، القلب، الروح، السر، الخفي، الأخفى.

○ قوله: «**ومرابطة صورة الشيخ المربي**» شيخ الطريقة الصوفية، تستحضر صورته أمامك فإذا جاء يصلي يدعو و كأنه يعبده من دون الله.

○ قوله: «**والتوجه إلى قبره**» إذا أردت شيئاً توجه إلى قبر الشيخ وهذا شرك.

○ قوله: «**والنذر له والاستمداد منه**» هذا الشرك الأكبر ـ والعياذ بالله ـ.

○ قوله: «**وأنه يقدر على ما لا يقدر عليه الأحياء لتجرد روحه عن هذا الجسد الفاني؛ فصار كالسيف الصارم المشهر من الغلاف**» وهذا عجيب فهل الميت يقدر على ما لا يقدر عليه الحي، سبحان الله!، الميت محتاج إليك لا يستطيع أن يدفع عن نفسه، وهو مرهون تحت القبر لا يستطيع أن ينفع نفسه فكيف له أن ينفعك!

قالوا: إنَّ الميت يقدر على ما لا يقدر عليه الحي؛ لأن روحه تجردت عن جسده الفاني فصار كالسيف الصارم المُشهر، يعني مثل السيف المكشوف، كذلك روحه مكشوفة.

○ قوله: «**وأن لله تعالى عباداً من البشر فوض الله تعالى إليهم أمور عباده وبلاده؛ وهم يسمون بالأبدال والأقطاب والنجباء والأوغاث وأمثالهم؛ وهم رجال الغيب**» يقولون: إنَّ لله عباداً من البشر يفوّض إليهم أمور عباده ـ هذا كله من اعتقاد الصوفية ـ وهم يسمونهم بالأبدال والأقطاب والنُجَبَة والأغواث، وبعض الصوفية يقول: إذا رأيت مثلاً واحداً ضعيف العقل ثيابه مخرقة و شعوره وأظفاره طويلة وهو مرمي في زبالة لا تدري لعل هذا قطب يتصرف في الكون وأنت لا تدري، فيجعلونه ربًا ـ والعياذ بالله ـ هكذا الصوفية يسمونهم رجال الغيب، ويقولون: من لاذ بهم واستغاث بهم ـ يعني الأبدال والقطبة ـ نال مطالبه وهم يوصلونه إلى أعلى درجات الكمال والجمال، وهذا أعظم الشرك.

○ قوله: «**فمن لاذ بهم واستغاث بهم نال مطالبه؛ وهم يوصلونه إلى أعلى درجات الجمال والكمال من أنكرهم أو أنكر ما يصدر عنهم فهو من المحرومين الهالكين ولا يمكن لأحد أن يصل إلى الله إلا بواسطتهم وتسليم الأمور إليهم**» هكذا اعتقاد الصوفية؛ فيقصدون الأقطاب والأبدال، ويظنون أن تصريف الأمور إليهم.

○ قوله: «**وهم كوزراء الملوك ومقربي السلاطين، لا يمكن لأحد أن يصل للملك أو يبلغ عريضته إليه إلا بواسطتهم**» كذلك كما أنك لا تستطيع أن تصل إلى الملك أو الوزير أو الرئيس إلا بواسطة كذلك هؤلاء هم واسطة بينكم وبين الله. «**فقَبِل الناس هذه الوساوس فشاعت وذاعت بين الخليقة، فحصل الشيطان مقصده الأعظم، ألا وهو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله أصلاً**».

○ قوله: «**وأمثلة ذلك كثيرة قد بيَّنها العلماء المحققون في**

كتبهم» هذه نصيحة من المؤلف رحمه الله يبين فيها أن هؤلاء الصوفية والمشعوذين بيَّن العلماء ضلالهم في كتبهم مثل شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وكتب الحافظ ابن كثير، وكتب الحافظ ابن رجب، وكتب أئمة الدعوة، وكتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمهم الله -، وغيرهم من أهل العلم.

○ قوله: «**فعليك أيُّها الطالب للحق بمطالعة كتب العلماء المحققين وتفهم ما فيها و استعمال العقل وترك التقليد والتعصب لفكرة أو مذهب أو طريقة**» فعليك أن تطالع كتب أهل العلم والمحققين وتتفهم ما فيها وتستعمل عقلك وتترك التقليد والتعصب الأعمى لمذهب أو فرقة أو طريقة.

○ قوله: «**فإن التقليد لغير المعصوم صادرٌ عن عمى البصيرة**» أي: التقليد لغير المعصوم صادر عن عمى البصيرة، والمعصوم: هو الرسول ﷺ فالذي يقلد غير المعصوم ﷺ هذا أعمى البصيرة.

○ قوله: «**ولا تغتر بترهات هؤلاء وأوهامهم بل عليك الأخذ والعمل بكل ما جاء به محمد رسول الله ﷺ**» أي: لا تغتر بترهات هؤلاء وأوهامهم واترك التقليد.

○ قوله: «**فلن تهلك أبداً ولن تضل سرمداً بحول الله وقوته**» فلن تهلك ولن تضل أبداً إذا أخذت بالكتاب والسنة ونصيحة العلماء، وسرمدًا، أي: دائمًا بحول الله وقوته.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

اعلم يا أخي في الله ﷻ أن أسنان المفتاح قد كَمُلَت وبُيِّنَ عددها وقدرها ووزنها وشكلها كماً وكيفاً بواسطة من أُنزل عليه الكتاب وهو سيدنا محمد رسول الله ﷺ فلا يجوز لأحد بحال من الأحوال أن يزيد على ما جاء به النبي محمد ﷺ ومن زاد شيئاً فقد تعدى وظلم؛ فلهذا قد ورد التهديد الشديد والوعيد الأكيد على من يزيد في الدين شيئاً وإنه قد أخبر النبي ﷺ أنه مردود عليه ولا شك» أن خَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وكل محدثة بدعة وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌوكل ضلالة في النار» كما في مقدمة صحيح مسلم(١).

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وقال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقد قال النبي ﷺ: «لا يكون أَحَدُكُمْ مؤمناً حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ».

وقال ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وسنتي، فعَضُوا عَلَيْهِمَا بالنَّواجِذِ».

وقد قال ﷺ: «من يَعش مِنْكُم بعدي فسيرى اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم، فعليه

---

(١) لم أجده عند مسلم في المقدمة؛ وأخرجه البخاري: كِتَابُ الِاعتصام بِالكِتَابِ وَالسُّنَّة، بَابُ الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ، برقم (٧٢٧٧) ومسلم: كتاب الجمعة، برقم (٨٦٧) ولفظ مسلم: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَة» وزاد النسائي: «وكلُّ ضَلالةٍ في النَّار» (١٥٧٨).

بِسُنَّتِيْ وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عليها بِالنَّوَاجِذِ».

وقال ﷺ: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: هم على ما أنا عليه وأصحابي».

وغيرها من الآيات والأحاديث الصحاح والحسان.

الشَّرْح

○ قوله: «**اعلم يا أخي في الله ﷻ أن أسنان المفتاح قد كَمُلَت**» هذا كأنه بمثابة الفصل المستقل؛ يبين فيه المؤلف رحمه الله أن أسنان المفتاح قد كَمُلَت والمراد بالمفتاح: كلمة التوحيد لا إله إلا الله، أسنانه: هي الشرائع، فلا إله إلا الله معناها لا معبود بحق إلا الله، وهذه الكلمة مشتملة على نفي وإثبات صدرها النفي «**لا إله**» تنفي العبادة عن غير الله، وعجزها إثبات «**إلا الله**» تثبت العبادة بجميع أنواعها لله، وهذا المفتاح له أسنان: وهي الشرائع والواجبات فالصلاة سن من الأسنان، والزكاة سن من الأسنان، والصوم سن من الأسنان، والحج سن من الأسنان، وبر الوالدين سن من الأسنان، صلة الأرحام سن من الأسنان، والأمر بالمعروف سن من الأسنان، والنهي عن المنكر سن من الأسنان، والجهاد في سبيل سن من الأسنان وهكذا.

كذلك أيضاً ترك المحرمات، ترك الغش، ترك الخداع، ترك الغيبة، ترك النميمة كل هذه من الأسنان.

فكل أسنان المفتاح قد كملت والذي أكملها هو الله تعالى، والرسول ﷺ؛ لأنه مبلغ عن الله، وبالكتاب والسُّنة قد كملت فهي موجودة في الكتاب والسُّنة ما فيها زيادة ولا نقصان، فلا يجوز

لأحد أن ينتقص منها شيئاً ولا أن يزيد.

○ قوله: «**وبُيِّنَ عددها وقدرها ووزنها وشكلها كماً و كيفاً بواسطة من أُنزل عليه الكتاب وهو سيدنا محمد رسول الله ﷺ**» عدد أسنان المفتاح معروفة ـ وقدرها ووزنها وشكلها ـ كلها معروفة في الكتاب والسنة، فمثلاً الصلاة سن من الأسنان عدد ركعاتها معروف، صلاة الظهر أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات، والعشاء أربع ركعات، والفجر ركعتين، وبُيِّن أركانها وواجباتها وشروطها، وقدرها ووزنها وشكلها ـ كماً وكيفاً ـ الكم: من جهة العدد، والكيف: من جهة الكيفية والوصف أي: وصف الصلاة معروف وعددها معروف، وكذلك الزكاة والصوم والحج معروفٌ عددها وقدرها ووزنها وشرطها كماً وكيفاً بواسطة من أنزل عليه الكتاب وهو سيدنا محمد رسول الله ﷺ، فعرفنا المفتاح وأسنان المفتاح قدراً ووزناً و شكلاً.

○ قوله: «**فلا يجوز لأحد بحال من الأحوال أن يزيد على ما جاء به النبي محمد ﷺ، ومن زاد شيئاً فقد تعدى وظلم، فلهذا قد ورد التهديد الشديد والوعيد الأكيد على من يزيد في الدين شيئاً وقد أخبر النبي أنه مردود عليه**»، لا يجوز للإنسان أن يزيد على هذه الأسنان، يزيد صلاة سادسة مثلاً ويقول هذه من الأسنان، مثل المبتدعة الذين زادوا، ويشير هنا المؤلف رحمه الله لحديث: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**»[1].

○ قوله: «**ولا شك أنَّ خير الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ عليه الصلاة والسلام وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا؛ وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ**

(١) سبق تخريجه.

ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ» كما في مقدمة صحيح مسلم[١]» ذكر المؤلف لفظ «**وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**»، هذه زادها النسائي وليست عند مسلم[٢]، وكان النبي ﷺ يقول في خطبة الجمعة أما بعد: «**إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[٣]، «**وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**» زادها النسائي[٤].

○ قوله: «**وقد قال الله تعالى**: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]» هذه نصوص ساقها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ لوجوب اتباع الكتاب والسُّنة والتحذير من البدع، ففيها أمر باتباع ما جاء به الرسول، وهذا شامل للدين كله؛ لأن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هو الكتاب والسنة.

○ قوله: «**وقال الله** ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]» هذه الآية يقول عنها العلماء أنها آية المحنة، أي: آية امتحان واختبار، كما قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ: «**زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللهَ، فَابْتَلَاهُمُ اللهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ**»[٥]؛ لأن كثيراً من الناس يدَّعون محبة الله مثل الصوفية يقولون نحب الله، واليهود يقولون نحب الله، والنصارى يقولون نحب الله، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨].

---

(١) سبق تخريجه وبيان أنه ليس في مقدمة مسلم؛ ولكن وجدته عند الدارمي في المقدمة، بَابُ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ، برقم (٩٦)، وابن ماجه: الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، بَابُ اجْتِنَابِ الْبِدَعِ وَالْجَدَلِ، برقم (٤٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٧).

وَكُـلٌّ يَـدَّعِـي وَصْـلًا لِـلَـيْـلَـى وَلَـيْـلَـى لَا تُـقِـرُّ لَـهُـمْ بـذاكـا[١]

فالله تعالى أعطانا الميزان ما هو الميزان؟ هو: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ ـ فالصادق في محبته لله هو من اتبع الرسول ﷺ ـ لقوله: ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ [آل عِمرَان: ٣١] فمن كان متبعاً للرسول فهو صادق في دعواه محبة الله، ومن كان لا يتبع الرسول ﷺ فهو كاذب، والدعوة بدون عمل لا تنفع، لذلك تسمى هذه الآية آية المحنة، إذ لمَّا ادَّعى قوم محبة الله امتحنهم الله بهذه الآية.

○ قوله: «**وقد قال الرسول ﷺ: «لا يُؤْمِن أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**[٢]**»** هذا الحديث ضعيف، ذكر الحافظ ابن رجب فيه ثلاث علل لكن معناه صحيح وهو أنَّ الإنسان لا يكون مؤمناً حتى يتبع الرسول ﷺ.

○ قوله: «**وقال ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وسنتي، فعَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّواجِذِ»**[٣]**»**، عضوا: مِن

---

(١) هذا البيت نسبه شيخ الإسلام إلى مجنون بني عامر انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٧١)، ونسبه بعضهم لأبي العتاهية.

(٢) أخرجه البيهقي في «المدخل للسنن الكبرى»: بابُ مَا يُذْكَرُ مِنْ ذَمِّ الرَّأي: وَتَكَلُّفِ الْقِيَاسِ فِي مَوْضِعِ النَّصِّ، برقم(٢٠٩)، والبغوي في «شرح السنة»: كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ رَدِّ الْبِدَعِ وَالأَهْوَاءِ (١/ ٢١٢/ ١٠٤)، وابن أبي عاصم في «السنة»: بَابُ مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَوَى الْمَرْءِ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ (١/ ١٢/ ١٥)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى»: بَابُ ذِكْرِ افْتِرَاقِ الْأُمَمِ فِي دِينِهِمْ (١/ ٣٨٧/ ٢٧٩)؛ وقد ضعفه الحافظ ابن رجب وعدد علله في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٩٤) حيث قال: تَصْحِيحُ هَذَا الْحَدِيثِ بَعِيدٌ جِدًّا.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ بلاغاً كِتَابُ الْقَدَرِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْقَوْلِ بِالْقَدَرِ رقم (٣)، والحاكم في المستدرك: كِتَابُ الْعِلْمِ (١/ ١٧٧/ ٣١٨)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله»: بَابُ مَعْرِفَةِ أُصُولِ الْعِلْمِ وَحَقِيقَتِهِ، برقم (١٣٨٩)، والآجري في «الشريعة»: كِتَابٌ جَامِعٌ فَضَائِلِ أَهْلِ الْبَيْتِ، بَابُ ذِكْرِ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ بِالتَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللهِ ﷻ وَبِسُنَّةِ رَسُولِهِ برقم (١٧٠٥).

عَضَّ يَعُضُّ بالنواجذ، هذا الحديث روي عن جماعة بدون عضوا عليهما بالنواجذ، رواه الحاكم والبيهقي، والمعنى: أن النبي ﷺ بين أنه ترك أمرين من تمسك بهما لن يضل.

○ قوله: «**وقال رسول الله ﷺ: «من يَعش مِنْكُم بعدي فسيرى اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم، فعليه بسنتي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عليها بِالنَّوَاجِذِ»**[1]»، هذا الحديث فيه تحذير من البدع قوله: «**من يَعش مِنْكُم بعدي فسيرى اخْتِلَافًا كَثِيرًا**» للصحابة، فلذلك من عاش كثيراً بعد النبي ﷺ أدرك أموراً، فأدرك بعض الصحابة أمير العراق عبيد الله بن زياد وكان ظالماً، وأدركوا الحجاج وكان ظالماً فاسقاً، حتى عندما أنكر على عبيد الله بن زياد بعضُ الصحابة وهو عائذ بن عمرو رضي الله عنه **فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ نُخَالَةِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَالَ: «وَهَلْ كَانَتْ لَهُمْ نُخَالَةٌ؟ إِنَّمَا كَانَتِ النُّخَالَةُ بَعْدَهُمْ، وَفِي غَيْرِهِمْ»**[2]، لكن هذا ظالم، وكذلك الحجاج بن يوسف وغيرهم.

وفي هذا تحذير من محدثات الأمور، وتحذير من البدع فإنها ضلالة، وفي اللفظ الآخر: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ**» أي: الزموها، وقد قال هنا: «**عَضُّوا عليها بِالنَّوَاجِذِ**» النواجذ: هي الأسنان التي تلي الأضراس، وهذا إنما يقال للشيء الذي ينبغي التمسك به نقول عض عليه بالنواجذ، فالعض عليه بالنواجذ أي: بالأسنان التي تلي الأضراس فإنه يكون ثابتاً.

○ قوله: «**وقال ﷺ: «وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً،**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْإِمَارَةِ، برقم (١٨٣٠).

كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»[1] هذا الحديث مشهور رواه عدد من المخرجين، وله عدة ألفاظ، وفي بعض ألفاظ الحديث: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ**»، **قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ»**[2].

وهم أهل السنة والجماعة وهم الطائفة المنصورة وهم أهل الحق، فهذا فيه حث على اتباع السُّنة والجماعة والنهي عن الفرقة والاختلاف.

○ قوله: «**وغيرها من الآيات والأحاديث الصحاح والحسان**» هذه أمثلة وإلا فالآيات والأحاديث كثيرة.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه الترمذي واللفظ له: كتابُ الْإِيمَانِ، مَا جَاءَ فِي افْتِرَاقِ هَذِهِ الأُمَّةِ، برقم (٢٦٤١) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ مُفَسَّرٌ غَرِيبٌ»، والحاكم في المستدرك (١/ ٢١٨/ ٤٤٤)، وابن وضاح في البدع: بَابُ تَغَيُّرِ الْبِدَعِ برقم (٢٥٠)، والمروزي في «السنة» برقم (٥٩).

(٢) أخرجه بألفاظ متقاربة: أبو داود في كِتَاب السُّنَّةِ، بَابُ شَرْحِ السُّنَّةِ، برقم (٤٥٩٦) وبرقم (٤٥٩٧)؛ وابن ماجه: كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ افْتِرَاقِ الْأُمَمِ بأرقام (٣٩٩١)؛ (٣٩٩٢)؛ (٣٩٩٣)؛ وأحمد برقم (١٢٢٠٨)؛ وابن حبان في صحيحه: كتاب التاريخ، ذِكْرُ افْتِرَاقِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِرَقًا مُخْتَلِفَةً، برقم (٦٢٤٧)؛ والحاكم في المستدرك (١/ ٢١٧/ ٤٤١) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَلَهُ شَوَاهِدُ» وقال الذهبي: «على شرط مسلم»، وقال الحاكم (١/ ٢١٨): «هَذِهِ أَسَانِيدُ تُقَامُ بِهَا الْحُجَّةُ فِي تَصْحِيحِ هَذَا الْحَدِيثِ»، وقال الذهبي: «هذه أسانيد تقوم بها الحجة».

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومما يوضح الحقيقة قوله تعالى في سورة فصلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، أي: أخلَصوا العمل لله، وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم؛ وتلا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه الآية على المنبر ثم قال: «وَاللهِ ـ للهِ بِطَاعَتِهِ، وَلَمْ يَرُوغُوا رَوَغَانَ الثَّعَالِبِ» بل أخلصوا الدين والعمل والتفصيل في التفاسير وكذا في سورة الأحقاف.

وفي سورة الشورى: قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ الآية [الشورى: ١٣] إلى أن قال: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ الآية [الشورى: ١٥]: أي: استقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله تعالى كما أمركم الله عَزَّ وَجَلَّ ولا تتبع أهواء المشركين فيما اختلقوه وأحدثوه الخ...

ولهذا قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وخُذُوا عني مَنَاسِكَكُمْ».

وفي سورة الزخرف: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣-٤٤]، أي: عن القرآن وكيف كنتم بالعمل به والاستجابة له وعما يلزمكم من القيام بحقه.

الشَّرْحُ

○ قوله: «**ومما يوضح الحقيقة قوله تعالى في سورة فصلت:**

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠]، **أي: أخلَصوا العمل لله، وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم**» يوضح المؤلف رحمه الله حقيقة الأمر أن المطلوب من المؤمن أن يؤمن بالله ﷻ ويستقيم على طاعته بالعمل، تكون أعماله تصدق أقواله، أمَّا الذي يدَّعي الإيمان بلسانه وأعماله تخالف فهذا ليس مؤمناً، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ أي: قالوا بألسنتهم ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ أي: معبودنا وإمامنا بالحق هو الله، فالرب إذا أطلق يشمل الرب ويشمل الإله، ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ أي: استقاموا بالعمل، ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ تبشرهم ثلاث بشارات:

الأولى: ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟﴾، أي: لا تخافوا مما أمامكم في المستقبل أو من عذاب القبر أو من عذاب النار.

الثانية: ﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾، أي: لا تحزنواعلى ما خلفتم في الدنيا من أموال وأولاد.

الثالثة: ﴿وَأَبْشِرُوا۟﴾، أي: بالجنة.

فهي ثلاث بشارات: لا تخافوا من المستقبل، لا تحزنوا على الماضي، أبشروا بالجنة ومتى يبشرون بهذا؟

• **الجواب**: عند الموت، وفي القبر ويوم القيامة، في هذه المواضع الثلاثة.

فأصحاب البشارات أخلصوا العمل لله، وعملوا بطاعته ﷻ، فوحدوا الله وأخلصوا العمل لله فلم يدخل في عملهم رياء ولا سمعة، وعملوا بطاعة الله على ما شرع الله.

○ قوله: «**وتلا عمر هذه الآية ثم قال: «والله لله بطاعته»** -

أي: أخلصوا العمل لله بطاعته ـ، **ولم يروغُوا روغان الثعالب**[١]» فالذي يروغ هو مثل الذي يظهر أن العمل لله وهو ليس لله.

○ قوله: «**بل أخلصوا له الدين والعمل، والتفصيل في التفاسير، وكذا في سورة الأحقاف**» إذا أردت تفسير الآية ارجع إلى تفسير العلماء، مثل: ابن جرير، وابن كثير وغيرهم من أصحاب التفاسير، وكذلك في سورة الأحقاف ـ أي: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف: ١٣-١٤].

○ قوله: «**وفي سورة الشورى** ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ **الآية** [الشورى: ١٣] **إلى أن قال**: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ **الآية** [الشورى: ١٥]»، الشاهد قوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ أمر الله بإقامة الدين، وإقامتُه بالإخلاص لله واتباع الوحي المُنَزَّل، ولذلك فإن دعوة الأنبياء كلها توحيد ونبذ للشرك، فدعوتهم واحدة، أمَّا الشرائع والأوامر والنواهي فمختلفة فكلٌ منهم له شريعة، لكن الدين واحد وهو التوحيد، كما يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»[٢]، والإخوة لعلات: هم الإخوة لأب، أي: أن الأب واحد والأمهات متعددة، فالأب يمثل الدين والأمهات تمثل الشرائع، قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، أمَّا

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد: رقم (٣٢٥)، والبغوي في شرح السنة: رقم (١٦)، والثعلبي في تفسيره (٨/٢٩٣).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ قَوْلِ اللهِ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦]، رقم (٣٤٤٣).

الإخوة من الأم فيسمون الأخياف، فالأم واحدة والآباء متعددون، أمَّا الإخوة من أب وأم واحدة فيسمون إخوة الأعيان أو الأشقاء، فالرسول ﷺ يقول، نحن الأنبياء إخوة لعلات، الدين واحد والشرائع متعددة ومختلفة، فالدين الواحد هو التوحيد والشرائع شتى، لهذا قال الله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، «**أي: استقم أنت ومن اتبعك على طاعة الله كما أمركم الله ولا تتبع أهواء المشركين فيما اختلقوه وأحدثوه... إلخ**» فأمر النبي ﷺ أمر له ولأمته بالاستقامة وتوحيد الله والحذر من اتباع أهواء المشركين والظالمين.

○ قوله: «**ولهذا قال النبي ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»**[(١)] **وقال: «وخُذُوا عني مَنَاسِكَكُمْ»**[(٢)]» كما جاء في الأحاديث سواء في أمر الصلاة، أو في الحج كقوله ﷺ: «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ**»[(٣)].

○ قوله: «**وفي سورة الزخرف: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٤٣ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ۝٤٤﴾** [الزخرف: ٤٣-٤٤]، **أي: عن القرآن وكيف كنتم بالعمل به والاستجابة له وعما يلزمكم من القيام بحقه**» هذا فيه: حث على اتباع الوحي، وأنَّ القرآن شرف له ﷺ ولقومه وسوف يُسألون عن العمل به، فإن الإنسان يُسأل عن القرآن وكيف كان عمله وكيف كانت استجابته ويُسأل عما يلزمه من القيام بحقه.

(١) أخرجه البخاري كِتَابُ الأَذَانِ، بَابُ الأَذَانِ لِلْمُسَافِرِ رقم (٦٣١).
(٢) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْحَجِّ، رقم (١٢٩٧).
(٣) سبق تخريجه.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الفقير إلى رحمة ربه القدير محمد سلطان المعصومي الخجندي: «وها أنا أذكر لك الآن ما ورد من الأحاديث والآثار الصحاح من أن مفتاح الجنة لا إله إلا الله».

قال إمام المحدثين محمد بن إسماعيل البخاري في كتاب الجنائز من صحيحه: قيل لِوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَلَيْسَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِفْتَاحُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ».

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ». وكذا رواه أبو داود.

وذكر أبو نُعيم الأصفهاني في كتابه «أحوال الموحدين» أن أسنان هذا المفتاح هي: الطاعات الواجبة من القيام بطاعة الله تعالى وتأديتها والمفارقة لمعاصي الله ومجانبتها.

الشَّرْحُ

ضمنَّ المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الفصل بالأحاديث والآثار الصحيحة التي تدل على أنَّ مفتاح الجنة لا إله إلا الله.

○ قوله: «**قال إمام المحدثين محمد بن إسماعيل البخاري في كتاب الجنائز من صحيحه: قيل لِوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَلَيْسَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِفْتَاحُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ»**» هذا هو الأثر الأول عن وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قيل له: «**أَلَيْسَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِفْتَاحُ**

الجَنَّةِ؟ قَالَ: «بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ»[1]؛ وهذا ساقه الإمام البخاري، ظاهره أنه ثابت عنه، فإنه قال: قيل له ـ بصيغة الجزم ـ، والأسنان كما هو معلوم هي الواجبات والشرائع التي أوجبها الله تعالى والمحرمات التي حرمها الله تعالى، فيفعل الإنسان الواجبات ويترك المحرمات وبهذا يكون قد أتى بالأسنان، وهذه الأسنان هي مقتضى هذه الكلمة لا إله إلا الله فلابد من مقتضاها والبعد عمَّا يناقضها فإذا أتى بهذه الكلمة وأتى بمقتضياتها وشروطها وابتعد عن نواقضها فإنه يكون من أهل الجنة.

○ قوله: «**وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»**»[2]. **وكذا رواه أبو داود**» هذا الحديث دليل على أنَّ من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة، يعني إذا كان مؤدياً لشروطها ومنتهيًا عن موانعها، النصوص يُضمُ بعضها إلى بعض، فمن قالها عند الموت تائباً من الشرك لمن كان متلبساً به، أو تائباً من المعاصي محققاً للشروط تائبًا من النواقض فإنه يكون من أهل الجنة.

○ قوله: «**وذكر أبو نُعيم الأصفهاني في كتابه «أحوال الموحدين» أن أسنان هذا المفتاح هي: الطاعات الواجبة من القيام بطاعة الله تعالى وتأديتها والمفارقة لمعاصي الله ومجانبتها**» ما ذكره أبو نُعيم الأصفهاني في كتابه «**أحوال الموحدين**» هو الصواب، وهو أن أسنان هذا المفتاح الطاعات والمعاصي، فالمسلم يفعل الطاعات وترك المعاصي، وفي مقدمة الطاعات وأعظمها بعد توحيد الله

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

الصلوات الخمس يؤديها جماعة في المسجد، ومن الطاعات الزكاة يؤديها، ومن الطاعات الصيام، ومن الطاعات الحج، ومن الطاعات برالوالدين، ومن الطاعات صلة الأرحام، ومن الطاعات الأمر بالمعروف، كل هذه من الطاعات.

ومن المعاصي التي يتركها وهي من الأسنان: أعظمها ترك الشرك والابتعاد عنه، ترك قتل النفس المعصومة بغير حق ثم عقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، وأكل مال اليتيم، والربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، والاعتداء على الناس في دمائهم، وأموالهم، وأعراضهم، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، كل هذه من المعاصي التي يتركها المسلم حتى يؤدي هذه الأسنان، ولابد لمن قال لا إله إلا الله عارفاً لمعناها، وأنها مشتملة **على ركنين**:

الركن الأول: (لا إله): وهذا فيه نفي الألوهية عن غير الله وهذا هو الكفر بالطاغوت.

الركن الثاني: (إلا الله): وهذا هو الإثبات، فلا إله إلا الله مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦]، فعلم أن هذه الكلمة قائمة على **أصلين لا بد منهما**:

الأصل الأول: الكفر بالطاغوت وهو البراءة من كل معبود سوى الله وذلك بأن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتُكَفِّر أهلها وتعاديهم وتبغضهم، ويدخل في الكفر بالطاغوت ترك الشرك والمعاصي كلها.

الأصل الثاني: إثبات العبادة بجميع أنواعها لله ﷻ، ويدخل في الإيمان بالله وحده أداء الواجبات.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي، فَأَخْبَرَنِي ـ أَوْ قَالَ: بَشَّرَنِي ـ أَنَّهُ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِن سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ».

وفي رواية: «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ»(١).

الشَّرْحُ

هذا حديث أبي ذر رواه الشيخان البخاري ومسلم، وأبو ذر الغفاري رضي الله عنه روى عن النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ **«أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي، فَأَخْبَرَنِي ـ أَوْ قَالَ: بَشَّرَنِي ـ أَنَّهُ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ»** وهذه بشارة لكل موحد ومؤمن بشارة له عاجلاً أو آجلاً إن مات على التوحيد الخالص، فإن لم يلطخ بالمعاصي والبدع دخل الجنة من أول وهلة، وإذا أتى بتوحيد خرَّقه بالمعاصي فهو يدخل الجنة في النهاية لكن قد يعذب في قبره أو يدخل النار ويعذب فيها بقدر معصيته ثم يدخل الجنة، أي: مآلهُ إلى الجنة، وقد يتأخر دخوله للجنة إذا مات على توحيد ملطخ بالمعاصي **«قلت: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قال: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»**(٢) وفي رواية

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ اللِّبَاسِ، بَابُ الثِّيَابِ البِيضِ رقم (٥٨٢٧)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَان، رقم (٩٤).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الجَنَائِزِ، وَمَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رقم (١٢٣٧) ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَان، رقم (٩٤).

أخرى: **ذكرها ثلاثُ مرات» وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»** فقال النبي ﷺ في الثالثة: **«وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ»** فجعل أبو ذر يقول ﷺ: **«وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ»**.

■ **مسألة: ما معنى يدخل الجنة وإن زنى وإن سرق؟**

● **الجواب:** الزنا والسرقة ليست كفراً، بل هي معاصي من الكبائر، والكبائر لا تخرج الإنسان من الإيمان عند أهل السنة والجماعة، بل يكون ضعيف الإيمان ناقص الإيمان ومرتكب الكبيرة لا ينفى عنه مطلق الإيمان، ولا يطلق عليه: الإيمان المطلق؛ بل هو مؤمنٌ بايمانه فاسقٌ بكبيرته، فالزاني والسارق وشارب الخمر والمرابي إذا قلت عنه: مؤمن وسكت «كان خطأً»، وإن قلت ليس بمؤمن وسكت «كان خطأ» **إذن فماذا تقول؟**

● **الجواب:** قيِّد، قل: مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن ضعيف الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته وهذا في الإثبات.

أما في النفي: فلا تقل ليس بمؤمن، بل قل: ليس بصادق الإيمان، أو ليس بمؤمن حقاً، لأنك إذا قلت: الزاني و السارق مؤمن تكون وافقت المُرجئة، وإذا قلت: السارق والزاني ليس بمؤمن وافقت الخوارج الذين يُكفرون بالمعاصي والمعتزلة وافقوهم أيضاً، فأهل السنة والجماعة وسط بينهم.

■ **مسألة: هل يدخل الزاني أو السارق الجنة؟**

● **الجواب:** إذا كان الزاني أو السارق مات على التوحيد ليس مشركاً بالله فلا بد أن يدخل الجنة في النهاية، لكن في أول الأمر قد يدخلها أو لا يدخلها فهو تحت مشيئة الله تعالى. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] فقد

يعفو الله عنه ويدخل الجنة من أول الأمر، وقد لا يعفو عنه فيصيبه شدائد في موقف القيامة، وقد يُعذَّب في قبره، كما في حديث ابْنِ عَبَّاس ﷺ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**» ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «**لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»[1]، وقد لا يدخلُ النار بسبب الشفاعة، فقد يستحق دخول النار لكن يشفع فيه الأنبياء أو الصالحون أو الملائكة أو النبي ﷺ فلا يدخلها، وقد تواترت النصوص أنه يدخل النار جملة من أهل الكبائر مؤمنون مصلون صائمون يزكون ولا تأكل النار مواضع السجود، فهم دخلوها بالمعاصي، كمن مات على الزنا من غير توبة أو مات على السرقة من غير توبة، أو مات على عقوق الوالدين من غير توبة، أو مات على أكل الرشوة من غير توبة، أو مات على الغيبة والنميمة من غير توبة، فهؤلاء إن شاء الله يدخلون ويعذبون في النار ويطول مُكثهم فيها لكثرة جرائمهم ومعاصيهم وفحشها، كالقاتل أخبر الله تعالى عنه أنه يُخلَّد في النار، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النِّسَاء: ٩٣].

- **والخلود**: هو المُكث الطويل.

❁ الخلود خلودان:

الأول: خلود مؤبد لا نهاية له هذا خلود الكفرة.

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الوُضُوءِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي غَسْلِ البَوْلِ، رقم (٢١٨)، ومسلم: كِتَابِ الطَّهَارَةِ، رقم (٢٩٢).

الثاني: خلود مؤمد له أمد ونهاية، وهو خلود بعض العُصاة الذين كثرت معاصيهم وفحشت وغلظت، كالقاتل يمكث مدة طويلة لكن لا بد من خروجه في النهاية، فهؤلاء العُصاة أصلهم من أهل التوحيد ولكن حصلت لهم هذه المعاصي، ولا بد أن يُطهَّروا منها، فإذا تاب فقد طَهُروا منها، ولكن إذا مات من غير توبة فلا بد أن يُطهَّر: إمَّا أن يعفو الله عنه فيَطْهُر وإلا يُطهَّر في النار ـ إذا لم يشفع فيه الشفعاء ـ فإذا طَهر خرج إلى الجنة، مثل النجاسة التي تصير بالثوب تغسله حتى يطهر الثوب، وكذلك العصاة عليهم خبث، وهذا الخبث لا بد أن يطهر؛ لأن الجنة لا يدخلها إلا الطيبون الطاهرون، والعاصي عليه خبث ونقص في الطيب فلا بد أن يطهر و يزول منه الخبث.

وثبت أن النبي ﷺ يشفع أربع مرات في كل مرة يحد الله له حداً ويخرجه بالعلامة، يقول ﷺ: «**ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجَهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ**» ـ **قَالَ: فَلَا أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ ـ قَالَ» فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، أي: وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ**»[1]، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي الْأَوَّلِ: «**مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ**» **وَالثَّانِيَةِ: «بُرَّةٍ» وَالثَّالِثَةِ: «ذَرَّةٍ»**[2] في المرة الرابعة والأخيرة يقول: «**أخرج من كان في قَلْبِهِ أدنى أدنى أدنى مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فيخرجون**»[3]، وفيه: دليل على أن المعاصي ولو كثرت

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القِيَامَة: ٢٢-٢٣]، رقم (٧٤٤٠)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَان، رقم (١٩٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه: كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ ذِكْرِ الشَّفَاعَةِ (٤٣١٢) وأحمد في المسند، رقم (٢٦٩٣) واللفظ له، وأصله في الصحيحين، وهو الحديث الذي بعده.

(٣) أخرجه البخاري: كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ ﷻ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ رقم (٧٥١٠)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَان رقم (١٩٣).

وعظمت لا تقضي على التوحيد والإيمان، إذ لا بد أن يبقى بقية يخرج بها العاصي من النار، لكن متى ينتهي الإيمان؟

• **الجواب**: ينتهي إذا جاء الكفر الأكبر أو الشرك الأكبر أو النفاق الأكبر، فهنا يزول الإيمان.

المعاصي تضعف الإيمان لكنها لا تُزيله فإنه يبقى بقية حتى يبقى أدنى أدنى من حبة خردل من إيمان، فيخرج بهذه البقية من النار إلى الجنة، وإذا شفع الشفعاء، كالنبي ﷺ، والملائكة، والأنبياء، والصالحين، والشهداء، وبقيت بقية لا تنالهم الشفاعة، فهؤلاء يخرجهم رب العالمين برحمته، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: «**شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ**»[1]، فإذا تكامل خروج العُصاة الموحدين، ولم يبق منهم أحد أُطبقت النار على الكفرة من اليهود والنصارى والوثنيين والملاحدة والمنافقين في الدرك الأسفل ـ كل دركة سفلى أشد عذاب من التي فوقها ـ نعوذ بالله ـ، فالنار دركات كل دركة سفلى أشد عذاباً من الدركة التي فوقها، والجنة درجات كل درجة عُليا أفضل نعيم وأحسن من الدرجة التي تحتها، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم وافقوا المشركين في الكفر زادوا عليهم في النفاق والخداع ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.

لا يخرج الكفار من النار إلى أبد الآباد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾﴾ [الهُمَزة: ٨] أي: مطبقة مغلقة ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾

(١) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْإِيمَان رقم (١٨٣).

[الهمزة: ٩]، وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ [النبإ: ٢٣]، والحقب: هو المدة الطويلة، والمعنى: أنهم ماكثين فيها أحقاب، كلما انتهى حقب يعقبه حقب إلى ما لا نهاية ـ نعوذ بالله ـ، وقال ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٧] ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

قال الإمام البخاري في كتاب الإيمان من صحيحه بسنده عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ البَيْتِ لمن استطاع إليه سبيلاً» وكذا رواه مسلم وأصحاب السنن والمسانيد[1].

الشَّرْحُ

هذا الحديث رواه الشيخان وغيرهما، رواه النسائي والترمذي والبيهقي، وهو حديث صحيح.

وفيه: أن الإسلام مبني على خمس عُمد ـ دعائم و أركان.

الركن الأول: وهي: الشهادتان (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله)، وهاتان الشهادتان أصلا الدين؛ وأساس الملة، أن تشهد لله بالوحدانية وتشهد للنبي محمد ﷺ بالرسالة.

الركن الثاني: الصلاة، والمقصود: إقام الصلاة، لم يقل: فعل الصلاة؛ لأن إقام الصلاة أن تقيمها معطياً حقها.

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ»، برقم (٨)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، برقم (١٦)، ولم أجد في الصحيحين لفظه: «لمن استطاع إليه سبيلاً».

الركن الثالث: إيتاء الزكاة.

الركن الرابع: صوم رمضان.

الركن الخامس: حج بيت الله الحرام.

والشاهد من الحديث أنه جعل الشهادتان الركن الأول من أركان الإسلام.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»، وفي رواية مسلم: «بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَة أعلاها لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ فمن استكملها فقد استكمل الإيمان»(١).

الشَّرْحُ

هذا الحديث يقول النبي ﷺ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً**» هذه رواية البخاري، والبضع: من الثلاثة للتسعة، ورواية مسلم: بضع وسبعون شعبة.

ثم قال النبي ﷺ: «**أعلاها لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**».

فالإيمان له شُعَب كثيرة: أعلى الشُعب كلمة التوحيد لا إله إلا الله وهذا هو الشاهد، وأدنى الشُعب إماطة الأذى عن الطريق، أي: إذا وجدت في الطريق عظم أو مسمار أو زجاج يؤذي المسلمين فأزلته هذا شعبة من الإيمان، والحياء شعبة داخلية خُلُق داخلي يبعث الإنسان على فعل المحامد وترك المذام، إذاً شُعب الإيمان تكون في القلب وفي اللسان وفي الجوارح: **لا إله إلا الله**: في اللسان، **إماطة الأذى**: في الجوارح، **الحياء**: في القلب.

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَاب بَدْء الْوَحِي، بَابٌ أُمُور الإِيمَانِ، رقم (٩)، ومسلم: كتاب الإيمان برقم (٣٥)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، برقم (٥٨) و(٣٥).

وبين الأعلى والأدنى من الشُعب شُعب أخرى كثيرة، فالصلاة شعبة، والزكاة شعبة، والصوم شعبة، والحج شعبة، والأمر بالمعروف شعبة، والنهي عن المنكر شعبة، والجهاد في سبيل الله شعبة، والإحسان إلى الناس شعبة، وكف الأذى شعبة كل هذه من شعب الإيمان.

وتتبع **البيهقي** رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الشعب من النصوص فأوصلها إلى أعلى البضع تسعة وسبعون شعبة وألَّف كتابًا سمَّاه «**شُعَب الإيمان**»، وهذا الحديث من أقوى الأدلة في الرد على المرجئة الذين يقولون الإيمان في القلب فقط، أما الجوارح واللسان ما فيها إيمان!.

والرسول ﷺ قال: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً**» وجعل في اللسان شعبة، وفي الجوارح شعبة وفي القلب شعبة، وأنتم تقولون لا يوجد إيمان إلا في القلب! وهذا مذهب فاشل أي: ـ مذهب المرجئة ـ وهو منتشر كثيرًا في هذا الزمن، والصواب أن الإيمان يكون بالقلب واللسان والجوارح، والكفر يكون بالقلب واللسان والجوارح.

فالكفر بالقلب: إذا جحد توحيد الله، أو اعتقد أن لله صاحبة وولدًا فهذا كفر بالقلب.

الكفر باللسان: إذا سبَّ الله، أوسبَّ الرسول ﷺ أو استهزأ بالله، أو بالرسول ﷺ، أو دعا غير الله.

الكفر بالجوارح: إذا سجد للصنم، أو إذا أهان المصحف ولطخه بالنجاسة، أو داسه بقدميه.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وكتب عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه إلى عدي بن عدي: «إِنَّ لِلإِيمَانِ فَرَائِضَ وَشَرَائِعَ وَحُدُودًا وَسُنَنًا، فَمَنِ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الإِيمَانَ، فَإِنْ أَعِشْ فَسَأُبَيِّنُهَا لَكُمْ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنْ أَمُتْ فَمَا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ بِحَرِيصٍ».

وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قالا: كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس فأتاه جبريل عليه السلام فقال: «ما الإِيمَانُ قال: الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وبلقائه وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ» وفي رواية مسلم: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ: صَدَقْتَ، قال: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» قال: أخبرني عن الْإِحْسَانِ قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» الحديث صحيح معروف ومشهور.

الشَّرْحُ

هذا قول عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللهُ الخليفة الراشد أمير المؤمنين، وقد ألحقه العلماء بالخلفاء الأربعة رضي الله عنهم، وهذا الأثر رواه البخاري مجزوماً به.

○ قوله: «وكتب عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه إلى عدي بن عدي: «إِنَّ

لِلإِيمَانِ فَرَائِضَ وَشَرَائِعَ وَحُدُودًا وَسُنَنًا، فَمَنِ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الإِيمَانَ، فَإِنْ أَعِشْ فَسَأُبَيِّنُهَا لَكُمْ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنْ أَمُتْ فَمَا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ بِحَرِيصٍ»»[1]

أي: من استكمل الفرائض والشرائع والحدود والسنن استكمل الإيمان، فهو زاهد ﷺ قال: **«إِنَّ لِي نَفْسًا تَوَّاقَةً لَا تُعْطَى شَيْئًا إِلَّا تَاقَتْ إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى مِنْهُ، وَإِنِّي لَمَّا أُعْطِيتُ الْخِلَافَةَ تَاقَتْ نَفْسِي إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى مِنْهَا وَهِيَ الْجَنَّةُ»**[2]، لا يريد الدنيا، وقد وصل للخلافة والملك.

○ قوله: **«وقد روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ ومسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ قالا: كان النبي بارزاً يوماً للناس فأتاه جبريل ﷺ فقال: «ما الإِيمَانُ قال: الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وبلقائه وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ»**[3] **وفي رواية مسلم: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»قَالَ: صَدَقْتَ، قال: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» قال: أخبرني عن الْإِحْسَان قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»**[4] **الحديث صحيح معروف ومشهور»** هذا

---

(١) أخرجه البخاري معلقا كِتَاب الْإِيمَانِ، بَاب ألايمَان وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، (١/ ١٧)؛ وأخرجه بالسند موصولًا ابن أبي شيبة في «المصنف»: كِتاب الإِيمانِ والرّؤيا برقم، (٣١٠٨٤).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٣٣١)، وابن كثير في البداية والنهاية (٩/ ٢٠٨).

(٣) أخرجه البخاري: كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلَامِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ، رقم(٥٠) وفيه زيادة «وَكُتُبِهِ».

(٤) أخرجه مسلم: كِتَابُ الإِيمَانِ، رقم (٨).

هو الحديث الأول حديث أبو هريرة ﷺ رواه الشيخان البخاري ومسلم، فجعل الإيمان له ستة أركان في الباطن:

الركن الأول: الإيمان بالله.

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة.

الركن الثالث: الإيمان بالكتب المنزلة.

الركن الرابع: الإيمان بالرسل.

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

الركن السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره.

○ قوله: «**قال: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟ قال: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»» **هذه أركان الإسلام الخمسة**: الشهادتان، إقامة الصلاة، إيتاء الزكاة، صوم رمضان، حج البيت إن استطعت إليه سبيلاً.

■ **مسألة: ما الفرق بين أركان الإيمان وأركان الإسلام؟**

● **الجواب**: أركان الإيمان في الباطن خفية، أما أركان الإسلام ظاهرة كلٌ يراها؛ تنطق بالشهادتين يسمعك الناس، تصلي الناس يرونك، تزكي الناس يرونك، تصوم وتحج الناس يرونك) إذاً الإسلام له أركان ظاهرة يراها الناس وهي خمسة وله أركان باطنة وهي ستة، فمن أتى بالأركان الظاهرة والباطنة هذا هو المسلم.

ومن أتى بأركان الإسلام الخمسة؛ لكن لم يأت بالأركان الباطنة هذا يكون منافقًا ـ في الدرك الأسفل من النار ـ نعوذ بالله ـ.

○ قوله: «**قال: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ**

كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» الحديث صحيح معروف ومشهور»، الدين له ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: الإسلام وله خمسة أركان.

المرتبة الثانية: الإيمان وله ستة أركان.

المرتبة الثالثة: الإحسان وله ركن واحد، وهذا الركن له مرتبتان:

١- أن تعبد الله كأنك تراه وتشاهده.

٢- وهي أقل من المرتبة الأول وهي أن تعبد الله كأنه يراك.

الإحسان أعلى المراتب، أن تعبد الله على الإخلاص والمراقبة ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشُعَرَاء: ٢١٨-٢١٩].

فمراتب الدين هي: الإسلام والإيمان والإحسان وهو أعلاها، أن يعبد الإنسان ربه على الإخلاص والصدق والمحبة والانقياد وعدم الغفلة والإعراض، لكن مرتبة الإيمان قد يغفل الإنسان أو يُعرض، بينما في الإحسان تصلي كأنك ترى ربك أو ربك يراك، تصوم كأنك ترى ربك أو ربك يراك، تزكي كأنك ترى ربك أو ربك يراك، تأمر بالمعروف كأنك ترى ربك أو ربك يراك، بر الوالدين كأنك ترى ربك أو ربك يراك، تحسن إلى الناس كأنك ترى ربك أو ربك يراك، تترك المعصية كأنك ترى ربك أو ربك يراك.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد روى مسلم بسنده عن سفيان بن عبدالله الثقفي رضي الله عنه قال: «قلت يا رسول الله: قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ ؛ قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثم اسْتَقِمْ».

وروى الإمام أحمد في مسنده عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَفَاتِيحُ الْجَنَّةِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

وقال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ». متفق عليه؛ كذا في مشكاة المصابيح.

الشَّرْح

○ قوله: «وقد روى مسلم بسنده عن سفيان بن عبدالله الثقفي رضي الله عنه قال: «قلت يا رسول الله: قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ ؛ قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثم اسْتَقِمْ»[1] أُوتي جوامع الكلم وهنا أتى بكلمة تجمع الدين كله وهي: «آمَنْتُ بِاللهِ، ثم اسْتَقِمْ» آمنت بالله: بمعنى لا إله إلا الله، ثم استقم: الاستقامة تشمل الدين كله من فعل الواجبات وترك المحرمات أي: «أداء أركان الإسلام وأداء أركان الإيمان» وهذا من جوامع الكلم التي أُتي بها نبينا ﷺ، تؤمن بالله، ثم تستقيم بالعمل يكون عملك يوافق الكلمة التي نطقت بها «الإيمان بالله».

---

(١) أخرجه مسلم: كِتَابُ الإِيمَانِ، رقم (٣٨).

○ قوله: «**وروى الإمام أحمد في مسنده عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ: «مَفَاتِيحُ الْجَنَّةِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»**»[١] هذا الحديث رواه الإمام أحمد والبزار في زوائده والبيهقي في الشعب والحديث له شواهد كثيرة، وسبق وبينا أن المفاتيح لا بد لها من أسنان، وأسنانها هي الواجبات والمحرمات، أي: يفعل المسلم الطاعات ويترك المعاصي.

○ قوله: «**قال رسول الله ﷺ «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ»**[٢]. **متفق عليه؛ كذا في مشكاة المصابيح**[٣]» هذا الحديث رواه الشيخان البخاري ومسلم، وفيه: فضل الشهادتين وأن من شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ حفظه الله من النار، ولكن هنا قيد! وهو أن يقولها صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ، فيخرج المنافق؛ لأنه يقولها لكنه ليس صادقاً، وفي رواية أخرى: «**مَنْ قَالَهَا خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»[٤]، وفي حديث آخر: «**من قَالَهَا مُخْلِصًا**»[٥].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، برقم (٢٢١٠٢)، والبزار كما في «كشف الأستار»: كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ تَوْحِيدِ اللهِ سُبْحَانَهُ، رقم (٢)، والطبراني في الدعاء: بَابُ فَضْلِ قَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، رقم (١٤٧٩)، وأبو نعيم الأصبهاني في «صفة الجنة»: ذِكْرُ مِفْتَاحِ الْجَنَّةِ، رقم (١٨٩)؛ وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٢): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ وُثِّقُوا، إِلَّا أَنَّ شَهْرًا لَمْ يَسْمَعْ مِنْ مُعَاذٍ.

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَنْ خَصَّ بِالعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، كَرَاهِيَةَ أَنْ لَا يَفْهَمُوا رقم (١٢٨)؛ ومسلم: كتاب الإيمان رقم (٣٢).

(٣) مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي (١/ ١٥/ ٢٥).

(٤) أخرجه البخاري: كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ الحِرْصِ عَلَى الحَدِيثِ، رقم (٩٩) بلفظ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ».

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى: كِتَابُ عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، ذِكْرُ الِاخْتِلَافِ عَلَى زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ فِي ذَلِكَ، رقم (١٠٨٩٨) بلفظ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، وأحمد في المسند، برقم (٢٢٠٦٠) عن معاذ مرفوعًا «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ يَقِينًا مِنْ قَلْبِهِ، لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ» وَقَالَ مَرَّةً: «دَخَلَ الْجَنَّةَ وَلَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ».

وفي حديث عِتبان ﷺ: «**فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»[1]، إذاً لا بد من قيود فلا يكفي النطق باللسان، والصدق يُخرج النفاق، فالمنافقون لا يقولونها عن صدق بل يقولونها وقلوبهم مكذبة، فاشترط ﷺ الصدق، فمن قالها صدقاً من قلبه حَرَّمَهُ على النار، فالصدق من شروطها وتُضم بقية الشروط الأخرى: المحبة، والإخلاص، والانقياد، والقبول.

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ المَسَاجِدِ فِي البُيُوتِ، رقم (٤٢٥)، ومسلم: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ رقم (٣٣).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الشارح ملا علي القاري في «مرقاة المفاتيح» يعني: مَنْ قَالَ الْكَلِمَةَ وَأَدَّى حَقَّهَا وفرائضها فَيَكُونُ الِامْتِثَالُ وَالِانْتِهَاءُ مُنْدَرِجَيْنِ تَحْتَ الشَّهَادَتَيْنِ[1].

وقيل: «إنَّ ذلك لمن قالها عند التوبة ومات على ذلك قبل أن يتمكن من الإتيان بفرض آخر». وهذا اختيار الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى.

الشَّرْحُ

يُفَسِّر الشارح معنى هذا الحديث، والعلماء لهم **تفسيران**:

التفسير الأول: أن معنى من قال: لا إله إلا الله: أدى حقها، وفرائضها، وانتهى عن موانعها، ونواقضها، فيكون الامتثال والانتهاء مندرجين تحت الشهادتين، يؤدي الواجبات، ويبتعد عن المحرمات.

التفسير الثاني: معناها: أن من قالها عند التوبة ثم مات يدخل الجنة، بمعنى: شخص كافر ثم أسلم ونطق بالشهادتين ومات في الحال، ولم يتمكن من الصلاة وغيرها أو كان مسرفاً على نفسه، ثم أتى بالشهادتين تائباً ثم مات فإنه حصل ذلك في بعض الغزوات.

(١) مرقاة المفاتيح (١/ ٩٩).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال العبد الضعيف محمد سلطان المعصومي ـ حفظه الله تعالى ـ: «إنَّ كلمة التوحيد لا إله إلا الله كلمةٌ جامعة كاملة مكملة لا يُزاد فيها ولا يُنقص، ومضمونها إنما هو ما جاء به رسول الله ﷺ من دين الإسلام، وهذا الدين كاملٌ ومكملٌ كما أخبر الله تعالى عن ذلك، والنبي ﷺ واقفاً بعرفة في حجة الوداع يوم الجمعة وذلك بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فما كان ديناً في ذلك اليوم فهو الدين إلى يوم القيامة وما ليس بدين في ذلك اليوم فليس بدين أبداً، فلهذا أصبحت البدعة في الدين ضلالةً ومردودة، والمبتدع مفتريًا على ربه ومكذباً إياه وهذا هو معنى قوله ﷺ: «قل آمَنْتُ بِاللهِ، ثم اسْتَقِمْ» وهذا هو معنى لا إله إلا الله خالصاً من قلبه فتنبه!

وقد روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ».

الشَّرْحُ

المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: إن كلمة التوحيد «**لا إله إلا الله**» جامعة لأداء الواجبات وترك المحرمات، «**لا إله**»: نفي لجميع أنواع العبادة عن غير الله، بما فيها أداء الواجبات وترك المحرمات «**إلا الله**»: إثبات العبادة بجميع أنواعها لله، الواجبات كلها، بما فيها أداء الواجبات وترك المحرمات، فهي جامعة كاملة مكملة لا يُزاد فيها

ولا يُنقص، قائمة **على أصلين**:

الأصل الأول: الكفر بالطاغوت في قولك «**لا إله**»، وهو ترك الكفر والشرك والمعاصي.

الأصل الثاني: «**إلا الله**» وهذا الإيمان بالله وحده، وهو توحيد الله، وأداء الواجبات فإذاً هي كاملة جامعة مكملة.

ومضمونها ما جاء به النبي ﷺ في دين الإسلام من الشرائع والفرائض والواجبات والأوامر والنواهي، فالأوامر تفعلها والنواهي تتركها.

وبَيَّن رَحِمَهُ اللهُ أن هذا الدين كامل مكمَّل لا يحتاج إلى زيادة وليس فيه نقصان.

كما أخبر الله تعالى عن ذلك والنبي ﷺ واقفاً بعرفة في حجة الوداع يوم الجمعة وذلك بقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

فما كان ديناً في ذلك اليوم فهو الدين إلى يوم القيامة وما ليس بدين في ذلك اليوم فليس بدين أبداً.

○ قوله: «**فلهذا أصبحت البدعة في الدين ضلالةً ومردودة، والمبتدع مفتريًّاعلى ربه**» ـ أي: يكذب على ربه ـ؛ لأنه زاد، فهو يأتي ببدعة ويقول هذه مشروعة، فبهذا قد افترى على ربه، «**ومكذباً إياه، وهذا هو معنى قوله ﷺ: «قل آمَنْتُ بِاللهِ، ثم اسْتَقِمْ»، وهذا هو معنى لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**».

○ قوله: «**وقد روى الشيخان عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»**[1] وهذا

---

(١) سبق تخريجه.

الحديث رواه الشيخان.

«**أَمْرِنَا هَذَا**» أي: ما جاء به الرسول من الدين، وفي رواية لمسلم: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[1]، و«**رَدٌّ**» أي: مردود عليه لبطلانه.

❁ ❁ ❁

(١) سبق تخريجه.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

وحيث إنَّ المفتاح حده معلوم و قدرهُ مفهوم وأسنانه محدودة وهو كاملٌ ومكمل نهى الله جلَّ جلاله عن الغلو في الدين وأمر بالاقتصاد والإقتفاء.

الشَّرْحُ

○ قوله: «**وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»**» وهذا حديث صحيح، قاله النبي ﷺ في خطبة الجمعة على المنبر: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[(١)] وفي لفظ: «**وكل مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[(٢)]، وزاد النسائي «**وَكُلُّ ضَلَالَةٍ في النَّارِ**»[(٣)]، فدلَّ هذا على أن البدع باطلة ومردودة على أصحابها.

○ قوله: «**وحيث إنَّ المفتاح حده معلوم وقدرهُ مفهوم وأسنانه**

---

(١) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْجُمُعَةِ، رقم (٨٦٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

محدودة وهو كاملٌ ومكمل» أي: أن المفتاح حدَّه معلوم، وهو كلمة التوحيد لا زيادة ولا نقص فيها «**لا إله إلا الله**»، وقدره مفهوم؛ لأنها مشتملة على النفي والإثبات «**لا إله**» نفي جميع أنواع العبادة لغير الله، «**إلا الله**» إثبات العبادة لله وحده، أسنانه محدودة ما هي الأسنان؟

• **الجواب**: هي الواجبات والمحرمات، منها الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كذلك من الأسنان التي يجب تركها، مثل الشرك، والمعاصي، والعدوان على الناس في أموالهم ودمائهم، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم.

○ قوله: «**نهى الله جلَّ جلاله عن الغلو في الدين وأمر بالاقتصاد والاقتفاء**» نهى الله عن الغلو في الدين، في قوله ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ**»[1]، وأمر بالاقتصاد: وهو التوسط وعدم الغلو، والاقتفاء: وهو اتباع هدي النبي ﷺ فيما جاء به.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه ابن ماجه: كِتَابُ الْمَنَاسِكِ، بَابُ قَدْرِ حَصَى الرَّمْيِ، رقم (٣٠٢٩)، وأحمد في المسند، رقم (٣٢٤٨)، وابن أبي عاصم في السنة، رقم (٩٨)، وقال الألباني في ظلال الجنة (١/٤٦): «إسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين».

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد ورد عن النبي ﷺ ما يشرح ويؤيد ما قلناه وهو ما رواه الشيخان: عن أنس رضي الله عنه قال: «جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ الآخَرُ: وأَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ الآخَرُ: وأَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟! أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»»[1].

الشَّرْح

فيه: دليل على أنَّ الدين ليس فيه غلو ولا مشقة ولا إتعاب للنفوس، إنما وسط واقتصاد.

والرهط من الثلاثة إلى التسعة وهنا ثلاثة، فجاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت أزواج النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ: ما هي عبادة الرسول ﷺ؟، ماذا يعمل في الليل؟ هل يصلي الليل كله؟ هل يصوم كل الأيام؟ فأخبرهم النبي ﷺ أنه يصوم بعض الأيام، ويفطر بعض الأيام، يصلي بعض الليل وينام بعض الليل، ويأكل اللحم، ويأكل الحلوى، ويتزوج النساء، فهدي النبي ﷺ ليس فيه مشقة.

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ، رقم (٥٠٦٣)، ومسلم: كِتَابُ النِّكَاحِ، رقم (١٤٠١).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وفي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ من بعدي، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[1] رواه أبو داوود والترمذي وابن ماجه وأحمد.

الشَّرْحُ

هذا الحديث فيه: تحذير من البدع، والبدع تُنقص التوحيد والإيمان، وقد وقع كما أخبر النبي ﷺ وحصل الاختلاف، وهذا دليل من دلائل النبوة.

○ قوله: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ من بعدي**» أي: الزموا سُنتي، وسُنة الخلفاء الراشدين، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

○ قوله: «**وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**» أي: الأسنان التي تلي الأضراس، يعض عليها يمسكها.

○ قوله: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ**» فيه: التحذير من البدع.

(١) سبق تخريجه.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي كمَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى لَوْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ يَأْتِي أُمَّهُ عَلانِيَةً، لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ، وإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَيَزِيدُونَ عَلَيْهَا مِلَّةً، وَأُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلا وَاحِدَةً». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هِيَ؟ قَالَ: «الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» رواه الترمذي.

وعن الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ رسوله» رواه في الموطأ.

وروى أبو داود والترمذي عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قال: قال: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، وَأَعْطَى للهِ، وَمَنَعَ للهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ» وفي رواية الترمذي: «فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قيل: وَمَنْ أَبَى يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى». رواه البخاري.

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُؤْمِن أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ» رواه في شرح السنة.

الشَّرْحُ

بيَّن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ كلمة التوحيد، كلمة شاملة جامعة مكملة لا يُزاد فيها ولا ينقص، وأن مضمونها هو الدين كله وما جاء به

الرسول ﷺ في دين الإسلام من الشرائع أمراً ونهياً ثم استدل المؤلف رحمه الله بهذه الأدلة:

○ قوله: «**وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي كمَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى لَوْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ يَأْتِي أُمَّهُ عَلانِيَةً، لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ**» هذا الحديث له شواهد كثيرة وفيه: أنَّ النبي ﷺ أخبر أنَّ هذه الأمة تتبع بني إسرائيل وتفعل مثل فعلها، **وهذا فيه فائدتين:**

الفائدة الأولى: أنَّ هذا الأمر سيقع في الأمة لا محالة؛ لأنَّ النبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى، وفيه دليل على أنه رسول الله ﷺ حقاً.

الفائدة الثانية: تحذير المسلمين من أن يفعلوا هذا الأفعال، وليس معنى ذلك أنَّ الأمة كلها ستفعل ذلك، إنما المعنى أنه يوجد من يفعل ذلك.

○ قوله: «**وإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَزِيدُونَ عَلَيْهَا مِلَّةً، وَأُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلا وَاحِدَةً». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هِيَ؟ قَالَ: «الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**» **رواه الترمذي**»[1] فهذه الفرق كلها متوعدة في النار إلا أهل السُّنة والجماعة، وهم أهل الحق والطائفة المنصورة.

○ قوله: «**وعن الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ رسوله» رواه في الموطأ**»[2]. هذا الحديث من

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

المرسل المعضل وله شواهد، فهذه الأمة لا تضل إن تمسكت بكتاب الله وسنة رسول ﷺ.

○ قوله: «**وروى أبو داود والترمذي عَنْ أَبِي أُمَامَةَ** ﷺ **قال: قال: رَسُولُ اللهِ** ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، وَأَعْطَى للهِ، وَمَنَعَ للهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ**»»[(١)] وفي رواية الترمذي: «**فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ**»[(٢)] هذا الحديث لا بأس به، سنده حسن، فالمرء يحبه لله لا لأجل قرابة، ولا لأجل المعاملة، لا يحبه إلا لأنه مستقيم على طاعة الله، ويبغض الشخص لأنه عاصٍ لله، لا لأنه بينهم عداوة، يعطي الصدقات للفقراء وغيرها لله، ويمنع من يمنع لله، عطاؤه لله ومنعه لله ومحبته في الله وبغضه في الله.

○ قوله: «**وعن أبي هريرة** ﷺ **قال: قال رسول الله** ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى**»، **قيل: وَمَنْ أَبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» رواه البخاري**»[(٣)] هذا الحديث رواه البخاري، والإمام أحمد، والحاكم، وهو حديث صحيح، ومعناه أنه من أطاع الرسول دخل الجنة ومن عصاه دخل النار.

○ قوله: «**وعن عبدالله بن عمرو بن العاص** ﷺ **قال: قال**

---

(١) أخرجه أبو داود: كِتَاب السُّنَّةِ، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ، رقم (٤٦٨١).

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، باب رقم (٢٥٢١) مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَعْطَى للهِ، وَمَنَعَ للهِ، وَأَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، وَأَنْكَحَ لِلَّهِ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ»، وأخرجه أحمد برقم (١٥٦١٧) والحاكم في المستدرك (٢٦٩٤) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه البخاري: كِتَابُ الِاعتصام بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، رقم (٧٢٨٠).

رسول الله ﷺ: «لا يُؤْمِن أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ» رواه في شرح السنة»[١]، هذا الحديث سبق أنه حديث ضعيف؛ لكن له شواهد تدل على معناه، وأن الإنسان لا يكون مؤمناً حتى يكون متبعاً للنبي ﷺ فيما جاء به.

(١) تقدم تخريجه؛ وهو في شرح السنة للبغوي: كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ رَدِّ الْبِدَعِ وَالأَهْوَاءِ برقم (١٠٤).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا قَالَ عَبْدٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَطُّ مُخْلِصًا، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، حَتَّى يُفْضِيَ إِلَى العَرْشِ، مَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ»[1] رواه الترمذي.

الشَّرْحُ

هذا الحديث حديث حسن، وفيه: أن من قال كلمة التوحيد مخلصاً فإنها تُفتح له أبواب السماء بشرط أن يجتنب الكبائر وهذا لا بد منه، فإذا لم يجتنب الكبائر فإن هذه الكلمة تضعُف، لأنه يضعفها بالكبائر والكبائر تُضعف الإخلاص، لكن إذا اجتنب الكبائر فإن هذه الكلمة تفتح له أبواب السماء و تكون موجبة لدخول الجنة.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه الترمذي: كِتاُب الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَابُ دُعَاءِ أُمِّ سَلَمَةَ رقم (٣٥٩٠) والنسائي في الكبرى: كِتَابُ عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، أَفْضَلُ الذِّكْرِ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ رقم (١٠٦٠١) وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ».

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال المعصومي: فقد شُرِطَ لقبول هذه الكلمة ونفعها عند الله تعالى كون القائل مخلصاً ومعتقداً لإلوهية ربه، وأن يتجنب الكبائر كلها، فتدبر وتذكَّر وتنبَّه، - وفقني الله تعالى وإياك لمرضاته -.

الشَّرْح

المعصومي وهو المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: أن الشرط: «**لقبول هذه الكلمة ونفعها عند الله تعالى كون القائل مخلصاً**»، وهذا جاءت به الأحاديث كما سبق، «**ومعتقداً لإلوهية ربه**» ﷻ، وهذا لا بد منه، ولا بد أن يعتقد أن الله هو الإله، وهو المعبود بحق، وأنه مستحق للعبادة وأن غيره لا يستحق شيئاً من العبادة، وأن يتجنب الكبائر كلها، أمَّا إذا لم يجتنب الكبائر فهذه الكلمة تضعف ويكون على خطر من دخول النار وعذاب القبر والأهوال والشدائد التي تصيبه في موقف القيامة، وقد لا يدخل الجنة من أول وهلة لكن مأواه في النهاية إلى الجنة، أمَّا إذا مات على التوحيد الخالص لم يلطخه بالكبائر والمعاصي، فأدَّى الواجبات واجتنب المحرمات فإنه يدخل الجنة من أول وهلة - فضلاً من الله -، فإنه إمَّا من السابقين المقرَّبين أو من المقتصدين أصحاب اليمين وكلٌّ من الطائفتين يدخلون الجنة من أول وهلة، وإن كانت درجات السابقين أعلى من درجات المقتصدين.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قال: قال النَّبِيَّ ﷺ لِأَبِي: «يَا حُصَيْنُ، كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا؟» قَالَ أبي: سَبْعَةً، سِتًّا فِي الْأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟» قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ». قَالَ: «يَا حُصَيْنُ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ.» قَالَ: فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِيَ الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي. فَقَالَ: «قُلِ: اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي»[(١)] رواه الترمذي، وذكره الخطيب في مشكاة المصابيح[(٢)].

قال الطيبي: «قيل: تلك الآلهة هي يغوث، ويعوق، ونسر، واللات والعزى ومناة، وهذه الأسماء هي أسماء رجالٍ صالحين، فعظمهم أتباعهم حتى جعلوهم أصنامهم وعبدوهم، فما نفعهم اعترافهم بالإله الذي في السماء».

الشَّرْحُ

هذا الحديث فيه: أنَّ والد عمران ـ حُصين ـ قبل أن يُسلم كان يعبد سبعة ـ يعبد الله ومعه ستة ـ.

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، باب: رقم (٣٤٨٣)، والبزار في مسنده: برقم (٣٥٨٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨ / ١٧٤/ ٣٩٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات»: بَابُ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] رقم (٨٩٤)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني»، رقم (٢٣٥٥)، قال الترمذي (٥/ ٥١٩): «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ».

(٢) انظر: مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي (٢/ ٧٦٢/ ٢٤٧٦).

○ قوله: «**اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي**» هاتان الكلمتان فيهما التجاء إلى الله، وتوكل عليه، وبراءة من الحول والقوة، فمن ألهمه الله رشده وأعاذه من شر نفسه فهو من المفلحين، ويلزم أن يكون موحداً، فمن كان موحداً خالصاً فقد ألهمه الله رشده و أعاذه من شر نفسه.

○ قوله: «**قال الطيبي: قيل: تلك الآلهة هي يغوث، ويعوق، ونسر، واللات والعزى ومناة، وهذه الأسماء هي أسماء رجالٍ صالحين، فعظمهم أتباعهم حتى جعلوهم أصنامهم وعبدوهم، فما نفعهم اعترافهم بالإله الذي في السماء**» نقل المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ قول الطيبي أن الآلهة التي يعبدها حُصين والد عمران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يغوث، ويعوق، ونسر، واللات، والعُزى، ومناة، هذه ستة، والسابع هو الله، وهذه الأسماء هي أسماء رجالٍ صالحين فعظمهم أتباعهم حتى جعلوهم أصنامَهم وعبدوهم، فما نفعهم اعترافهم بالإله الذي في السماء لما عبدوا هذه الآلهة، والصواب أن يقال: فما منعهم إلا توحيدهم لله الذي في السماء لمَّا تركوا هذه الأصنام.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال المعصومي: وكذلك مثلهم الذين يُعظِّمون مشهد كربلاء، وحسين بن علي رضي الله عنهما، أو قبر عبد القادر الجيلاني، أو قبر معين الدين الجشتي في أجمير الهند؛ أو قبر علي رضي الله عنه في بلخ، أو قبر بهاء الدين النقشبندي في بُخارى، أو قبر قَثم بن عباس رضي الله عنهما في سمرقند، أو قبر أحمد اليسوي في تركستان، أو قبر مصلح الدين في خوجند، أو قبر آفاق خواجة في كاشغر، أو قبر محي الدين بن عربي في دمشق، أو مشهد رأس الحسين وقبر زينب في القاهرة، أو قبر أحمد البدوي في طنطا؛ أو قبر جلال الدين الرومي في قونيا، أو غيرها من القبور التي يعظمونها، ويعبدونها وينذرون لها ويتوجهون إليها.

والظن الغالب أنَّ هؤلاء رجال صالحون من هذه الأمة، فغلو في محبتهم حتى عبدوهم وهم غير راضين بذلك ألبتة؛ لأنهم رجال مسلمون وصالحون ـ رحمهم الله تعالى ـ، فصارت كل هذه القبور كالتي ذكرها الله تعالى في كتابه.

فلا يكون إيمان العبد صحيحاً حتى يكفر بهذه كلها، ويؤمن بالله وحده، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وهذا هو معنى لا إله إلا الله، فتنفي الآلهة كلها من كل الوجوه، وتثبت الإله الحق الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم

يولد ولم يكن كفواً أحد، فهذا التوحيد الخالص إنما هو مفتاح الجنة بلا ريب ولا شُبهة، فتفكَّر وتدَّبر قصة اللات والعُزى ويغوث ويعوق وغيرها، وراجع التفاسير المعتبرة وكتب الأحاديث الصحاح، وأعمل عقلك تظهر لك الحقيقة وينكشف الغطاء، فتعرف معنى لا إله إلا الله كما هو، وبفضل الله تعالى وهدايته وتوفيقه.

فقائل: لا إله إلا الله يجب عليه أن يستمر عليه وعلى موجبه، وألا يبطله بما ينافيه من الشرك، واتخاذ الأنداد، واعتقاد التصرف الغيبي لغير الله، وإلا بطل ولا تبقى له منفعة، كما تبطل سائر العبادات بالرياء ونحوه، كما قال الله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ الآية [البَقَرَة: ٢٦٤].

فأخبر أن صدقة المرائي والمنَّان باطلة لم يبقى فيها منفعة له، وكذا قوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [محمَّد: ٣٣].

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المَائدة: ٥].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ [النُّور: ٣٩].

الشَّرْح

يبين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الفصل أن هذه القبور التي تُعبد في أماكن متعددة من البلدان أنهم رجال صالحون من هذه الأمة، وأن الذين يعبدونهم غلو في محبتهم حتى وصل بهم الغلو إلى أن عبدوهم من دون الله، وأمَّا هؤلاء المعبودون ـ الأنبياء والصالحون والعلماء ـ فهم غير راضين بهذه العبادة؛ لأنهم مسلمون وصالحون فصارت قبورهم تُعبد من دون الله وهم لا يرضون.

○ قوله: «**أو غيرها من القبور التي يعظمونها، ويعبدونها وينذرون لها ويتوجهون إليها**» وهذا هو الشرك بالله ﷻ؛ لأن النذر والعبادة والدعاء والطواف عبادة لا تكون إلا لله ﷻ من صرف شيئاً منها لغير الله فقد كفر وأشرك.

○ قوله: «**والظن الغالب أنَّ هؤلاء رجال صالحون من هذه الأمة**» باستثناء محيي الدين ابن عربي «**فغلو في محبتهم حتى عبدوهم وهم غير راضين بذلك ألبتة؛ لأنهم رجال مسلمون وصالحون ـ رحمهم الله تعالى ـ، فصارت كل هذه القبور كالتي ذكرها الله تعالى في كتابه**».

○ قوله: «**فلا يكون إيمان العبد صحيحاً حتى يكفر بهذه كلها أي: ينكر عبادتها ويؤمن بالله وحده وهذا هو معنى قوله تعالى:** ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦]»، ومعنى الكفر بالطاغوت: هو البراءة من كل معبود سوى الله، وإنكار عبادة غير الله ونفيها وتكفير أهلها وبغضهم ومعاداتهم هذا هو الكفر بالطاغوت، والطاغوت هو كل ما يُعبد من دون الله، لكن الأنبياء والصالحين الذين عُبدوا و لم يرضوا ليسوا طواغيت، أما من رضي أن يُعبد من دون الله فهو طاغوت وكذلك الأصنام طواغيت، ولابد للمسلم أن يكفر بعبادة ما سوى الله سواء كان الذي يُعبد ـ نبي أو صالح أو ولي أو شجر أو حجر ـ فينفي العبادة عن غير الله ويثبتها لله تعالى و بهذا تتحقق هذه الكلمة بأصلين:

الأصل الأول: إنكار عبادة ما سوى الله ونفيها وبغضها وبغض أهلها ومعاداتهم، وهذا هو الكفر بالطاغوت.

الأصل الثاني: الإيمان بالله وحده وإثبات العبادة وإخلاصها له.

وكلمة التوحيد قائمة على هذين الأصلين، «**وهذا هو معنى لا إله إلا الله، فتنفي الآلهة كلها من كل الوجوه، وتثبت الإله الحق الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن كفواً أحد، فهذا التوحيد الخالص إنما هو مفتاح الجنة بلا ريب ولا شُبهة**».

○ قوله: «**فتفكَّر وتدَّبر قصة اللات والعُزى ويغوث ويعوق وغيرها وراجع التفاسير المعتبرة وكتب الأحاديث الصحاح وأعمل عقلك تظهر لك الحقيقة وينكشف الغطاء، فتعرف معنى لا إله إلا الله كما هو بفضل الله تعالى وهدايته وتوفيقه**» كما ثبت في صحيح البخاري[1] أن **اللات والعُزى ويغوث ويعوق أسماء رجال صالحين من قوم نوح**، ماتوا في زمن متقارب فحزنوا عليهم فأوحى لهم الشيطان أن صوروا صورهم حتى تتذكروا عبادتهم وتتشوقوا لذلك فصوروها وجعلوها في مجالسهم فجاء أحفادهم بعد ذلك وعبدوها وبهذا صارت أصنام في قوم نوح، فلما جاء الطوفان وأغرق الله أهل الأرض بالطوفان كانت هذه الأصنام تحت الأرض فلما كان في الجاهلية قبل بعثة النبي ﷺ استخرجوا هذه الأصنام وأتوا بها إلى بلاد العرب، وقيل أنها ليست هي، بل سموها بأسمائها.

وكما قال الله تعالى في آخر سورة الأنبياء: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨-١٠١]، فالذي لا يرضى ذلك من الأنبياء

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾ [نوح: ٢٣] رقم (٤٩٢٠).

والصالحين ليس عليه إثم من عبده من دون الله إنما الإثم على الذي رضي بذلك أو أمر بالعبادة.

○ قوله: «**فقائل: لا إله إلا الله يجب عليه أن يستمر عليه وعلى موجبه وألا يبطله بما ينافيه من الشرك واتخاذ الأنداد واعتقاد التصرف الغيبي لغير الله وإلا بطل ولا تبقى له منفعة، كما تبطل سائر العبادات بالرياء ونحوه، كما قال الله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٤]» أي: يستمر على توحيد الله وإخلاص الدين له والكفر بما يعبد من دون الله؛ ـ لأن هذه الكلمة توجب الكفر بالطاغوت ـ«**وألا يبطله بالشرك و اتخاذ الأنداد واعتقاد التصرف الغيبي لغير الله**»؛ لأن من اتخذ أنداداً من دون الله، أواعتقد أن هناك تصرف لغير الله بطل توحيده ولا يبقى له منفعة، كما أن العبادات تبطل بالرياء، هذا فيما إذا استمر معه، وكما تبطل الصدقة بالمن والأذى.

○ قوله: «**فأخبر أن صدقة المرائي والمنَّان باطلة لم يبق فيها منفعة له وكذا قوله تعالى:** ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [مُحَمَّد: ٣٣]» أي: إذا أعطى الإنسان فقيراًصدقة وجعل يمُنّ عليه وكل ما لقيه قال: أنا أعطيتك، وجعل يؤذيه فهذا تبطل صدقته بذلك ولو تكلم بكلام طيب لكان أفضل من الصدقة التي يؤذيه بها قال تعالى: ﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٦٣]، ومعنى قوله تعالى، ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ أي: لا تبطلوا أعمالكم بالشرك.

○ وقوله: «﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة: ٥]» أي: بطل عمله بالكفر بالإيمان.

○ وقوله: «﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً﴾ [النور: ٣٩]» والمعنى: لا بدله من تكملة الآية حتى يتضح المعنى، فالذين كفروا أعمالهم باطلة لا يجدون منها شيئاً يوم القيامة، مثل السراب، فأنت حين تنظر للصحراء من بُعد ترى كأنه ماء فإذا وصلت لا تجد ماء وكذلك الكفار أعمالهم كأنها شيء فإذا جاء يوم القيامة لا تجدها شيئاً ـ نسأل الله العافية ـ.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فلابد من الاستمرار على التوحيد، وعلى كل ما يقتضيه التوحيد، ولا بد من الكفر بالطواغيت وكل آلهة دون الله كما لا يخفى، فمن يقول: لا إله إلا الله، ثم يقول: إن الأرواح تتصرف أو تمد، أو يدعو غير الله أو ينذر لغير الله أو يخاف غير الله أو يرجو غير الله غيباً فقد أبطل قوله ـ لا إله إلا الله ـ بل أشرك بالله شركاً جلياً لا يغفره الله ﷻ فتنبه!.

الشَّرْحُ

يبين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أنه لا بد من الاستمرار على التوحيد والكفر بالطاغوت، وعلى كل ما يقتضيه التوحيد، وهو اعتقاد بطلان عبادة ما سوى الله، فكل ما يُعبد من دون الله طاغوت وكل آلهة تُعبد من دون الله لابد من اعتقاد بطلانها، «**فمن يقول لا إله إلا الله، ثم يقول: إن الأرواح تتصرف أو تمد، أو يدعو غير الله أو ينذر لغير الله أو يخاف غير الله أو يرجو غير الله غيباً فقد أبطل قوله ـ لا إله إلا الله ـ**» لماذا؟

• **الجواب:** لأنه فعل ناقضًا من نواقضها وهو فعل الشرك، والشرك ينقض هذه الكلمة، فلابد من أداء الواجبات وترك المحرمات ولا بد من ترك ما يبطلها وهو الشرك.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

والأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات قد أمرونا أن نؤمن بما أتوا به وأن نقتدي بهم وبهداهم قال الله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البَقَرَة: ١٣٦].

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ومحمد ﷺ خاتم النبيين لا نبي بعده، ولم يبق طريقٌ إلى الله تعالى إلا اتباع محمد ﷺ فما أمر به من العبادات أمر إيجاب أو استحباب فهو مشروع ومرغوب فيه وما لم يؤمر به ولم يفعله فلا يُقال إنَّ هذا مستحب أو مشروع إلا بدليل شرعي ولا يجوز أن تُثبَت شريعة بحديث ضعيف فضلاً عن منكر أو موضوع أو كشف أو إلهام أو نوم أو خيال أو آراء الرجال، لأنَّ الثواب عند الله ولا يُعلم ما عند الله وأن في الأمر الفلاني ثواباً إلا بإعلام الله وذلك لا يكون إلا بواسطة محمد رسول الله ﷺ.

الشَّرْحُ

فالأنبياء قد أمرنا بالإيمان بما أتوا به، قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البَقَرَة: ١٣٦] وأمرنا أيضا أن نقتدي بهم قال

تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

○ قوله: «**ومحمد ﷺ خاتم النبيين لا نبي بعده**»، فبعد بعثته عليه الصلاة والسلام لم يبق طريق إلى الله إلا من طريق الرسول ﷺ، سُدَّت الطرق التي توصل إلى الله إلا من طريق الرسول عليه السلام، فمن أراد الجنة فعليه باتباع القرآن والسُّنة، والنبي ﷺ بُعِثَ لجميع الثقلين الجن والإنس عامة إلى يوم القيامة، ولهذا بين المؤلف رحمه الله أنه: «**لم يبق طريقٌ إلى الله تعالى إلا اتباع محمد ﷺ فما أمر به من العبادات فهو مشروع ومرغوب فيه، وما لم يؤمر به ولم يفعله فلا يُقال إنَّ هذا مستحب أو مشروع إلا بدليل شرعي، ولا يجوز أن تُثبَت شريعة بحديث ضعيف، ومن باب أولى حديث منكر، أو موضوع، أو كشف، أو إلهام، أو نوم، أو خيال، أو آراء الرجال كل هذه باطلة، فلا يثبت الشرع إلا عن طريق كتاب الله أوسُّنة رسوله ﷺ؛ لأنَّ الثواب عند الله، ولا يُعلم ما عند الله وأن في الأمر الفلاني ثواباً إلا بإعلام الله وذلك لا يكون إلا بواسطة محمد ﷺ**».

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

واعلم أن كلمة لا إله إلا الله هي الكلمة الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى التي ألزمهم ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦]، وهي العروة الوثقى، وهي الكلمة التي جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون، وليس المراد قولها باللسان فقط مع الجهل بمعناها، فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار مع كونهم يصلون ويحجون ويطوفون ويقرؤون القرآن ويتصدقون ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب والإذعان بها ومحبتها ومحبة أهلها، وبغض ما خالفها ومعاداته كما قال النبي ﷺ: «من قال لا إله إلا الله مخلصا مِّن قلبه دخل الجنة»[(١)]، وفي بعضها: «خالصاً من قلبه»[(٢)]، وفي بعضها: «صدقاً من قلبه»[(٣)].

وفي حديث آخر: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، دخل الجنة»[(٤)].

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة.

الشَّرْحُ

○ قوله: «واعلم أن كلمة التوحيد هي الكلمة الفارقة بين الكفر

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْإِيمَان، برقم (٢٣)، ولفظه: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ».

والإسلام، وهي كلمة التقوى التي ألزمهم الله، قال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦]، **وهي العروة الوثقى، وهي الكلمة التي جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون»** وهذا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧]، ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾: هذا النفي، ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾: هذا الإثبات، فلابد من البراءة من كل معبود سوى الله، ووجوب الإيمان بالله.

○ قوله: «**وليس المراد قولها باللسان فقط مع الجهل بمعناها**» أي: مع معرفة معناها، **فما معنى كلمة التوحيد؟**

● **الجواب**: كلمة التوحيد معناها لا معبود بحق إلا الله وهي مشتملة على ركنين: **صدرها لا إله**: وفيه النفي، **وعجزها: إلا الله** وفيه الإثبات، **وما هو الشيء الذي تنفيه وما هو الشيء الذي تثبته؟**

● **الجواب**: تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله، وتثبت جميع أنواع العبادة لله وحده ولابد من معرفة المعنى، ولابد أن يقولها عن صدق ولابد من اعتراف القلب وتصديقه.

○ قوله: «**فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار مع كونهم يصلون ويحجون ويطوفون ويقرؤون القرآن ويتصدقون**»، فإن المنافقين لم يكونوا يجهلونها بل كفروا، ولم يؤمنوا بها، فلم تنفعهم أعمالهم لأنهم كفروا بها.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة: ٨]، وفي قوله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون: ١].

○ قوله: «**ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب و الإذعان بها ومحبتها ومحبة أهلها، وبغض ما خالفها ومعاداته**» أي: المراد قولها مع معرفتها بالقلب، ولابد من الإذعان، وهو: الانقياد بحقوقها، كالصلاة والصيام والحج، فينقاد المسلم للعمل بها، ولا ينفع قولها مع الاستكبار؛ لأنّ الاستكبار كفر مستقل، والاستكبار هو عدم العمل فقولها باللسان مع الاستكبار لا ينفع.

○ قوله: «**كما قال النبي ﷺ: «من قال لا إله إلا الله مخلصا مِّن قلبه دخل الجنة، وفي بعضها: «خالصاً من قلبه»، وفي بعضها: «صدقاً من قلبه»**». فالإخلاص عليه مدار قبول الأعمال.

○ قوله: «**وفي حديث آخر: «من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله دخل الجنة» إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة**» أي: لا بد من البراءة و الكفر بكل ما يُعبد من دون الله، ولهذا اشترط بعضهم شرطاً ثامناً من شروط لا إله إلا الله وهو الكفر بما يُعبد من دون الله استدلالاً بهذا الحديث.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه الكلمة نفي وإثبات: نفي الألوهية عما سوى الله تعالى من المخلوقات حتى جبريل ومحمد عليهما السلام فضلاً عن غيرهم من الأولياء والصالحين.

وهذه الألوهية هي التي تُسميها العامة في زماننا (السرَّ والولاية)!.

والإله: معناه الولي الذي فيه السر، وهو الذي يسمونه الفقير، والشيخ، والدرويش، والولي، وذلك أنهم يظنون أن الله تعالى جعل لخواص الخلق منزلة رضي أن يلتجئ الإنسان إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم، ويجعلهم واسطة بينه وبين الله تعالى، فالذي يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائط هم الذين يسميهم الأولون الآلهة!!

والواسطة هي الإله، وقول المؤمن: لا إله إلا الله إبطال للوسائط، وغالب الذين غلوا في تعظيم الأولياء وشيوخ الطرق وأئمة آل البيت من السادة، قد عبدوهم بدعائهم حتى في الشدائد، والطواف بقبورهم وذبح القرابين لهم و كانوا يجهلون أنهم بهذا قد اتخذوهم آلهة.

الشَّرْحُ

يبين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن هذه الكلمة نفي وإثبات ـ كما سبق ـ نفي في صدرها، وإثبات في عجزها، نفي الألوهية عما سوى الله تعالى

من المخلوقات حتى جبريل ومحمد عليهما السلام؛ لأنه ليس لهم حق بالعبادة، فالله تعالى له حق العبادة لا يرضى أن يشاركه فيه أحد، والرسول له حق الطاعة والإتباع والمحبة، والمؤمنون لهم حق المحبة والتقدير والاحترام والاقتداء بأفعالهم الطيبة، والوالدان لهم حق البر والإحسان، والناس لهم حق، فلا يُخلط بين الحقوق!

○ قوله: «**وهذه الإلهية هي التي تُسميها العامة في زماننا السرَّ والولاية**» كان الناس في زمن المؤلف رحمه الله يسمون الآلهة ولي وواسطة، أو السر أو الإله، ومهما سمُّوه لابد من بطلان العبادة لغير الله تعالى بأي: اسم سُمي، فلا تَهم المسميات لأن العبادة حق الله ولا تصرف لغير الله.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

واعلم أن لا إله إلا الله هي الكلمة الفارقة بين الكفر والإسلام فمن قالها عالماً بمعناها معتقداً إياها فقد دخل في الإسلام وصار من أهل دار السلام الجنة.

الشَّرْحُ

«**لا إله إلا الله**» هي الكلمة الفارقة بين الكفر والإسلام، فمن قالها عالماً بمعناها معتقداً إياها فقد دخل في الإسلام، وصار من أهل الجنة، بشرط البعد عمَّا يناقضها، فيكون من أهل دار السلام بشروطها:

أولاً: إذا قال لا إله إلا الله بلسانه.

ثانياً: أن يكون عارفاً بمعناها.

ثالثاً: أن يعمل بمقتضاها وهي الشروط.

رابعاً: البعد عمَّا يناقضها وهو الشرك وغيره.

نسأل الله الجنة وأن نكون منهم.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأمَّا من قال لا خالق إلا الله؛ أو لا رازق إلا الله؛ أو لا رب إلا الله؛ أو لا موجود إلا الله؛ أو الله موجود أو نحو ذلك فلا يكون مسلماً؛ ولا يكون من أهل دار السلام؛ وهذه الكلمات وإن كانت كلمات حقة، ولكن يشترك في القول بها سائر الناس من المشركين والمجوس والنصارى واليهود وغيرهم، سوى الدهرية المادية كما يشهد القرآن بذلك.

الشَّرْحُ

يبين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن من أقر بتوحيد الربوبية لا يكفيه دخوله في الإسلام، بل لابد أن يقول لا معبود بحق إلا الله، فإن الفرق بين المسلم و الكافر هو التوحيد، وإن كان توحيد الربوبية مطلوب لكنه لا يكفي، بل لا بد أيضًا من توحيد الإلهية ومن توحيد الأسماء والصفات، فمن اقتصر على توحيد الربوبية لا يكون مؤمن، وإن كانت الكلمات التي ذكرها المتعلقة بتوحيد الربوبية حقة ولكن يشترك في القول بها سائر الناس من المشركين والمجوس والنصارى واليهود وغيرهم سوى الدهرية المادية ـ الملاحدة ـ الذين أنكروا وجود الله وهؤلاء معروفون، كما يشهد القرآن بذلك.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فقد ثبت بهذا التحقيق أن الذكر النافع المنجي من عذاب الله تعالى، إنما هو لا إله إلا الله ولهذا قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

الشَّرْحُ

أي: إذا عرف معناها، وأتى بشروطها، وابتعد عمَّا يناقضها، ولهذا قال رسول الله ﷺ: **«أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»**[1] وفي اللفظ الآخر: **«أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي عَشِيَّةَ عَرَفَةَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»**[2].

(١) أخرجه الترمذي: كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَاب مَا جَاءَ أَنَّ دَعْوَةَ الْمُسْلِمِ مُسْتَجَابَةٌ، رقم (٣٣٨٣)، وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، والنسائي في «السنن الكبرى»: كِتَابُ عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، أَفْضَلُ الذِّكْرِ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ، برقم (١٠٥٩٩)، وابن ماجه: كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ فَضْلِ الْحَامِدِينَ، رقم (٣٨٠٠)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٧٦/ ١٨٣٤): وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».

(٢) أخرجه الترمذي: كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَاب، رقم (٣٥٨٥)؛ وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ». وأحمد في المسند، برقم (٦٩٦١)، والطبراني في الدعاء: برقم (٨٧٤)، وقال الملا على القاري في مرقاة المفاتيح (٥/ ١٨٠٣): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِلَفْظِ: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ قَبْلِي عَشِيَّةَ عَرَفَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» إِلَخْ. وَسَنَدُهُ حَسَنٌ جَيِّدٌ.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فما يتداوله العوام ومن يدعي العلم والدين من الطغام من قولهم: الله موجود، أو لا رب إلا الله أو لا خالق إلا الله أو نحو ذلك، فليس من خصائص دين الإسلام بل يشترك فيه المشركون واليهود والنصارى والمجوس فتنبه وتدبر، ولا تكن أعمى وأصم تقلد كل ناعق وناهق!

الشَّرْحُ

يبين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أنما يتداوله العوام، ومن يدعي العلم والدين من الطغام من قولهم: الله موجود، أو لا رب إلا الله أو لا خالق إلا الله أو نحوها، فليس من خصائص الإسلام بل يشترك فيه المسلم والكافر، فتنبه وتدبر!! ولا تكن أعمى وأصم تقلد كل ناعق وناهق.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

واعلم أن الكفار الذين دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإيمان والتوحيد وقاتلهم وقتلهم كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية، وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يُدبر الأمور إلا الله وحده، كما قال تعالى في سورة يونس: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]. كما فصلت هذه المسألة وبينتها حق التفصيل والتبيان في كتابي» أوضح البرهان في تفسير أم القرآن» فتنبه.

فإن هذه المسألة عظيمة مهمة جداً، وهي: أن تعلم أن الكفار شاهدون بهذا كله ومقرون به؛ ومع هذا لم يدخلهم ذلك في الإسلام؛ ولم يحرم دمائهم وأموالهم، وسببه أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية، وأنه لا يُدعى ولا يُرجى إلا الله وحده لا شريك له، ولا يُستغاث بغيره ولا يذبح لغيره؛ ولا يُنذر لغيره؛ لا لملك مقرب، ولا نبي مُرسل؛ فمن استغاث بغيره فقد كفر؛ ومن ذبح لغيره فقد أشرك؛ ومن نذر لغيره فقد أشرك؛ ومن حلف بغيره فقد أشرك شركاً أصغر.

فالله الله يا إخواني، تمسكوا بأصل دينكم، وأوله وآخره، وأُسه ورأسه، ألا وهو: شهادة أن لا إله إلا الله واعرفوا معناها، واكفروا بالطواغيت وعادوهم، وأبغضوا من أحبهم فإن الحب في الله

والبغض في الله من الإيمان، اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين.

الشرح

يبين المؤلف رحمه الله أن الكفار مقرين بتوحيد الربوبية، توحيد الربوبية نوع فطري، فطر الله عليه جميع الخلق، فكلهم مقرون بهذا التوحيد، حتى الكفرة، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، وقال سبحانه: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

إذن فالمشركون في زمن النبي ﷺ من كفار مكة كانوا يقرون بهذا النوع من التوحيد، وكذلك سائر الأمم، فقوم نوح وقوم هود وقوم صالح كلهم كانوا يقرون بهذا النوع من التوحيد، لم يوحدوا الله في العبادة والألوهية، فمن أنواع العبادة: الذبح، النذر، الدعاء، الاستغاثة، الاستعانة، الخوف، الرجاء، التوكل، الرغبة، الرهبة، كل هذه العبادات لابد من صرفها لله تعالى، فمن استغاث بغير الله فقد كفر وخرج من الملة ومن ذبح لغير الله فقد كفر ومن نذر لغير الله فقد أشرك ومن حلف بغير الله فقد أشرك شرك أصغر.

فتوحيد الله في ربوبيته لا يكفي، بل لابد من توحيد الله في عبادته وإلهيته وأسمائه وصفاته، لذا أوصى المؤلف ﷺ بالتمسك بأصل الدين، وأوله وآخره، وأُسه ورأسه: شهادة أن لا إله إلا الله، ومعرفة معناها، والكفر بالطواغيت ومعاداتهم، وبغض من أحبهم؛ ذلك أن الحب في الله والبغض في الله من الإيمان.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولا شك أن أول ما فرض الله تعالى على عباده الإيمان بالله والكفر بالطاغوت: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠].

فصفة الكفر بالطاغوت أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتُكفِّر أهلها وتُعاديهم، ومعنى الإيمان بالله أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه، وتُخلص كل أنواع العبادة لله وحده، وتنفيها عن كل معبود سواه.

والطاغوت عام في كل أنواع العبادة، فكل ما عُبِدَ من دون الله، ورضي بالعبادة من معبود، أو متبوع، أو مُطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت، والعبادة: الطاعة: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ [يس: ٦٠]؛ **كما في سورة يس، وكذا في سورة مريم، قال إبراهيم ﷺ لأبيه:** ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾ [مريم: ٤٤].

فالإنسان لا يكون مؤمناً بالله إلا بعد الكفر بالطاغوت؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦].

الشَّرْحُ

يبين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن أول ما فرض الله على عباده الإيمان بالله

والكفر بالطاغوت، والطاغوت: هو كل ما عُبِد سوى الله، فلا بد أن تكفر به.

وصفة الكفر بالطاغوت: هي أن تعتقد بقلبك بطلان عبادة غير الله، وتتركها بنفسك وتبغضها، وتُكفِّر أهلها و تعاديهم، فهذه **خمسة أمور يتحقق بها الكفر بالطاغوت :**

أولاً: أن تعتقد بقلبك بطلان عبادة غير الله.

ثانياً: أن تتركها.

ثالثاً: أن تبغضها.

رابعاً: أن تُكفِّر أهلها.

خامساً: أن تعاديهم.

ومعنى الإيمان بالله: أن تعتقد أنَّ الله هو الإله المعبود بحق دون من سواه وتُخلص كل أنواع العبادة لله وحده وتنفيها عن كل من سواه.

o قوله: «**والطاغوت عامٌ في كل أنواع العبادة، فكل ما عُبِدَ من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مُطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت والعبادة: الطاعة**» فالإنسان لا يكون مؤمناً إلا **بأمرين**:

الأمر الأول: الكفر بالطاغوت.

الأمر الثاني: الإيمان بالله.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فالجامع لعبادة الله تعالى وحده، إنما هو طاعته بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وأنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله تعالى وحده: الدعاء، والاستعانة، والاستغاثة، وذبح القُربان، والنذر، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والمحبة، والخشية، والرغبة، والرهبة، والتأله، والركوع، والسجود، والخشوع، والتذلل، والتعظيم ـ الذي هو من خصائص الألوهية ـ.

ومن صرف شيئاً من هذه الأنواع لغير الله تعالى فقد أشرك بالله غيره، والشرك في العبادة ينقض الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

و﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢] **ومنه الذبح لغير الله، كمن يذبح للجن أو للقبر أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم، فهذا كفر إجماعاً.**

الشَّرْح

هذا الفصل في بيان الجامع لعبادة الله وحده، وهو: طاعة الله والامتثال لأوامره واجتناب النواهي، وطاعة الله تكون بالعبادة، والعبادة كثيرة كما سبق منها الدعاء، والاستعانة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، والخوف، والتوكل، والرجاء، والإنابة، والرغبة، والرهبة، والتذلل، والخشية، والتعظيم.

والاستعانة أو دعاء الغائبين والأموات فيما لا يقدر عليه إلا الله هي التي لا تصلح إلا لله وحده، أمَّا الاستعانة بالحاضر فيما يقدر عليه فهذا مباح.

ومن صور الشرك أيضاً الذبح لغير الله، كمن يذبح للجن أو للقبر أو يجعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم، وهذا كفر إجماعاً؛ لأنه من نواقض الإسلام.

وحكم المشرك في الآخرة أن يحرّم الله عليه الجنة، وفي الدنيا أن شركه غير مغفور.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وقد روى الترمذي، وأبو داود عن ثوبان ـ رضي الله تعالى عنه ـ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تعبُد فئام من أمتي الْأَوْثَانَ»(١).

الشَّرْحُ

○ قوله: «**وقد روى الترمذي وأبو داود عن ثوبان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تعبُد فئام من أمتي الْأَوْثَانَ»**». هذا حديث صحيح.

فيه: علم من أعلام النبوة.

وفيه: دليل على أنَّ الشرك واقع في هذه الأمة.

وفيه: الرد على من قال أن هذه الأمة مطهرة وأنها لا يقع فيها الشرك، وهذا باطل؛ لأنه وقع فيها شرك، وفي أحاديث كثيرة من هذا قول النبي ﷺ: «**لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى**»(٢).

وهذا فيه دليلين:

الأول: أن هذا فيه علم من أعلام النبوة أنه وقع كما أخبر الرسول ﷺ.

الثاني: تحذير الأمة من الشرك والوقوع فيه.

---

(١) أخرجه أبو داود: كِتَاب الْفِتَنِ وَالْمَلَاحِمِ، بَابُ ذِكْرِ الْفِتَنِ وَدَلَائِلِهَا رقم (٤٢٥٢)؛ والترمذي، أَبْوَابُ الْفِتَنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ، بَابُ مَا جَاءَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ كَذَّابُونَ، رقم (٢٢١٩)، وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، والحاكم في المستدرك (٤ /٤٩٦/ ٨٣٩٠) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ» ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، رقم (٢٩٠٧).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال ابن حجر الهيتمي في كتابه «الزواجر»؛ والفقيه الحنفي في تبيين المحارم»: إنَّ من أشرك في عبادة الله غيره أنه يكفر بالإجماع، ويُقتل إن أصرَّ على ذلك، كدعاء الأموات لجلب خير، أو دفع ضر، وقد قال رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ».

الشَّرْحُ

أجمع أهل العلم على أن من يشرك في عبادة الله يكفر ويُقتل إن أصر على ذلك، ولكن المراد الذي يُقيم الحدود هو من يتولى الأمر وليس كل أحد يقتله، وإلا أصبحت المسألة فوضى قام كل أحد ليقتل من يريد، فمن وقع في الشرك يُرفع إلى ولي الأمر أو إلى الحاكم الشرعي.

○ قوله: «**وقد قال رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»**[1] دلَّ الحديث على أنَّ الدعاء والاستعانة من عبادة الله.

(١) أخرجه الترمذي: كِتَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، باب؛ رقم (٢٥١٦)؛ وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد روى الترمذي عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه أنه قال: خرجنا مع رَسُولِ اللهِ إِلَى حُنَيْنٍ، وكان لقريش والمشركين شجرة خضراء عظيمة، يأتونها كل سنة فيعلقون عليها سلاحهم، ويعكفون عندها، ويذبحون لها، يقال لها: ذات أنواط، فقلنا: يا رسول الله اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ! فَقَالَ النبي ﷺ: «هذا كما قال قوم موسى لموسى عليه السلام: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، لَتَرْكَبُنَّ سنن مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ...»[(١)] الحديث.

قال الإمام شهاب الدين عبدالرحمن الشامي المعروف بأبي شامة في كتابه «الباعث على إنكار البدع والحوادث»: قال الإمام أبو بكر الطرطوشي ـ رحمه الله تعالى ـ: «فانظروا رحمكم الله تعالى أينما وجدتم سدرة، أو شجرة، يقصدها الناس، ويعظّمون من شأنها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، وينوطون بها أسلحتهم، ويضربون عليها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها»[(٢)].

الشَّرْحُ

ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ قول الصحابة رضوان الله عليهم في الحديث:

---

(١) أخرجه الترمذي: أَبْوَابُ الْفِتَنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ، بَابُ مَا جَاءَ لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ رقم (٢١٨٠) وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»؛ والنسائي في السنن الكبرى: كِتَابُ التَّفْسِيرِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨]، رقم (١١١٢١).

(٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص ٢٦).

«**اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ**» فالنبي ﷺ جعل قول هؤلاء الصحابة مثل قول بني إسرائيل لموسى اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة لأن المعنى واحد، فالعبرة بالمعنى وإن كان اللفظ مختلفًا، والصحابة هنا ما أشركوا؛ لأنهم قالوا ذلك عن جهل، فزجرهم النبي ﷺ ونهاهم فانتهوا.

وفي هذا دليل على أن الإنسان إذا طلب أن يفعل الشرك عن جهل ثم نُبِّه فنزع وتاب في الحال فإنه لا يكون مشركاً.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فتأمل ـ رحمك الله تعالى ـ هذا الكلام، بأن ما تفعله العامة في زماننا في العُمد والشجر، والحجر، والمواضع المخصوصة، أنه مثل فعل المشركين بذات أنواط، فتبين منه أنَّ الشرك قد حدث في هذه الأمة منذ أزمنة مديدة، فيجب على كل من قَدَرَ على إزالته إزالته، فويل للعلماء والأمراء والقضاة القادرين على إزالته على سكوتهم.

الشَّرْحُ

يبين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن الشرك قد حدث منذ أزمنة مديدة، وهذا فيه الرد على من قال: إنَّ هذه الأمة مطهرة ولا يقع فيها الشرك، ويستدلون بحديث: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ**»[1] ويجيب العلماء على هذا الحديث بأقوال:

القول الأول: أن الشيطان لما رأى انتشار الإسلام يئس وظن أن الشرك لا يعود، وهو ليس معصوم لا في يئسه ولا في رجائه.

القول الثاني: أنّ هذا خاص بالصحابة الذين زكاهم النبي ﷺ وثبت الإيمان في قلوبهم فيئس الشيطان أن يعبدوه ويقع الشرك في الصحابة.

القول الثالث: أن الشيطان يئس أن تُطبق الأمة على الشرك بل لا بد أن يوجد فيها طائفة على الحق ظاهرين منصورين.

(١) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم (٢٨١٢).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

واعلم أن الغلو في المشايخ منهي عنه، فكل من غلا في نبي، أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية، مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرني، أو أغثني، أو ارزقني، أو أنا في حسبك، أو نحوها، فكل هذا شرك وضلال يُستتاب، وإلا قُتِل.

الشَّرْحُ

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: أن الغلو في المشايخ أو رؤساء القبائل أو غيرهم منهي عنه، وكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه من الألوهية، أي: جعله يستحق التعظيم من دون الله ودعاه من دون الله، فذبح له من دون الله مثل أن يقول: «**يا سيدي فلان انصرني، أو أغثني، أو ارزقني، أو أنا في حسبك**» ـ أي: كفايتك أو نحوها ـ، فكل هذا شرك وضلال يُستتاب فاعله وإلا قُتِل من قِبَل ولاة الأمور؛ لأنَّ هم من يستتيبونه ويقتلونه وليس عامة الناس.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإن الله تعالى إنما أرسل الرسل، وأنزل الكُتُب ليُعبد وحده، ولا يُجعل معه إله آخر، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى، مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق، أو تُنزل المطر، أو تُنبت النبات، وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو صورهم ويقولون: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زُلفى ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

فبعث الله رُسُله تنهى أن يُدعى أحد من دونه، لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة، ونهى عن الحلف بغير الله، وقال: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»(١)؛ ونهى عن تعظيم القبور، واتخاذها مساجد(٢)؛ لأنَّ من أكبر أسباب عبادة الأوثان: تعظيم القبور؛ ولهذا اتفق العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ على أنَّ من سلَّمَ على النبي ﷺ حين زار قبره أنه لا يتمسح بحجرته ولا يُقبلها؛ لأنه إنما يكون لأركان الكعبة؛ فلا يُشبه بيت المخلوق ببيت الخالق، كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين، ورأسه الذي لا يقبل الله عملاً

(١) أخرجه أبو داود: كِتَاب الْأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ، بَابٌ فِي كَرَاهِيَةِ الْحَلْفِ بِالْآبَاءِ، رقم (٣٢٥١)، والترمذي: كِتَابُ النُّذُورِ وَالأَيْمَانِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ الحَلِفِ بِغَيْرِ اللهِ، رقم (١٥٣٥) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ» وقال الحاكم في المستدرك (١/ ٦٥/ ٤٥): «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ» ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، رقم (٣٤٥٣)، ومسلم: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، رقم (٥٢٩) بلفظ: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ، وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا.

إلا به، وهذا هو معنى: «لا إله إلا الله».

الشَّرح

الذين يشركون مع الله آلهة أخرى لا يعتقدون أنها تخلق وترزق؛ وإنما يصرفون لها نوعاً من العبادة وهم يعتقدون أنَّ الذي يخلق ويرزق هو الله، ويقولون إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زُلفى.

○ قوله: «**فإن الله تعالى إنما أرسل الرسل وأنزل الكُتُب ليُعبد وحده ولا يُجعل معه إله آخر والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو تُنزل المطر أو تُنبت النبات وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو صورهم ويقولون: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زُلفى** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]» شركهم إنما هو في عبادة هذه الأصنام، قال الله تعالى عنهم وهم يطلبون شفاعتهم وتقريبهم إلى الله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ [الزمر: ٣] أي: قائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، فهم أشركوا في العبادة، فهم يطلبونا لقربى من الله بهذه الأصنام والأوثان، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] فهم يعلمون أن الأصنام هذه لا تضر ولا تنفع، وأن الذي يضر وينفع هو الله، لكن يقولون: هؤلاء صالحون، أو أنبياء، أو أحجار تسبح الله، فهي تقربنا إلى الله، وتنقل حوائجنا إلى الله، وتشفع لنا عند الله، ونحن نعلم أنه ليس بيدها شيء من الضر والنفع، والذي يضر وينفع إنما هو الله ﷻ، فرد الله عليهم بقوله: ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٨].

○ قوله: «**فبعث الله رُسُله تنهى أن يُدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة**» أي: نهى أن يُدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء مسألة، دعاء العبادة مثل: الصلاة، فالمصلي سائلٌ في المعنى لأنه يطلب الثواب فهذا هو دعاء عبادة، وأما دعاء المسألة كأن يقول الإنسان: ربِّ اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني هذا دعاء مسألة؛ لأنه يسأل بلسانه.

○ قوله: «**ونهى عن الحلف بغير الله**»، هذا شرك أصغر إلا إذا اعتقد أنَّ للمحلوف به نوعاً من الألوهية.

○ قوله: «**ونهى عن تعظيم القبور واتخاذها مساجد، ولهذا اتفق العلماء رحمهم الله تعالى على أنَّه من سلمَّ على النبي ﷺ حين زار قبره أنه لا يتمسح بحجرته ولا يُقبلها**» وإنما يقف مستقبلاً القبر مستدبرًا القبلة ويقول: «**السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته أشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده، وجزاك الله عن أمتك خير ما يجزي نبي عن أمته**»، والتقبيل يكون للحجر الأسود من الكعبة وأيضًا يُمسح ويُقبل، والركن اليماني يمسح فقط.

○ قوله: «**فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق**» بيت المخلوق: قبر النبي، وبيت الخالق: الكعبة.

ثم بين المؤلف رحمه الله أن كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملاً إلا به، وهذا هو معنى لا إله إلا الله.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في (شرح المنازل): «والشرك هو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله؛ بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله، ويغضبون لتنقص آلهتهم ومعبودهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا تنَّقصَ أحدٌ رب العالمين، وقد شاهدنا هذا نحن جهرة، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده على لسانه إن قام وإن قعد، وإن عثر وإن استوحش، وهو لا يُنكر ذلك، ويرى أنه باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده، وهكذا كان عُبَّاد الأصنام سواء، وهذا هو الذي أنكره الله تعالى عليهم في القرآن وأبطله، وأخبر أن الشفاعة كلها له، والقرآن مملوءٌ من أمثال هذا. ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته، ويظنه في قوم قد خَلَوْا ولم يعقِّبُ وارثاً، وهذا هو الذي يحول بين المرء وبين فهم القرآن، كما قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّمَا تنقض عرى الْإِسْلَام عُرْوَة عُرْوَة إِذا نَشأ فِي الْإِسْلَام من لم يعرف الْجَاهِلِيَّة»[1].

---

(١) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في مواضع من كتبه، منها: «منهاج السنة النبوية» (٤/ ٥٩٠)، «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٠١)، وكذا ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «مدارج السالكين» (١/ ٣٤٣)، و«مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٩٥).

وهو بمعناه عند ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٤١٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٧٥) عن المستظل بن حصين قال: خطبنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «قد علمت ورب الكعبة متى تهلك العرب»، فقام إليه رجل من المسلمين فقال: «متى يهلكون يا أمير المؤمنين؟»، قال: «حين يسوس أمرهم من لم يعالج أمر الجاهلية ولم يصحب الرسول ﷺ».

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

وهذا لأنه لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمَّه فوقع فيه، وأقره وهو لا يعرف[١]، قيل لعمر بن الخطاب ﷺ: فلان لا يعرف الشر؟ قال: «ذلك أحرى أن يقع فيه»[٢].

ومن أنواعه: طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل الشرك في العالم، فزاروهم زيارة العبادة، وجعلوا قبورهم أوثاناً تُعبد.

الشرح

هذا نقل عن ابن القيم رحمه الله في شرح منازل السائرين.

الشرك هو أن يتخذ من دون الله نداً يُحبه كما يحب الله، أي: يساويه في الله بالمحبة والتعظيم ومعنى يحبه أي: أن يذل له ويخضع، بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله، ويغضبون لتنقص آلهتهم ومعبودهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا تنقصَ أحدٌ رب العالمين، وهذا مُشاهد وموجود الآن في بعض عُبَّاد القبور وبعض الصوفية، إذا قيل له احلف بالله كاذباً يحلف ولا يُبالي، لكن إذا قيل له احلف بشيخك كاذباً لا يحلف، فهو يعظم شيخه أكثر من تعظيم الله.

وترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده على لسانه، إن قام، وإن قعد، وإن عثر، وإن استوحش، وهو لا يُنكر ذلك، وهو يرى أنه باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده ـ فقد نسوا ربهم ـ.

---

(١) لخص هذا الكلام من «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» لابن القيم (١/ ٣٤٨ - ٣٥١).

(٢) ذكره أبو سليمان الخطابي في «غريب الحديث» (٣ / ١٢٥) عن عمر بن عبدالعزيز بغير إسناد.

○ قوله: «**وهكذا كان عُبَّاد الأصنام سواء وهذا هو الذي أنكره الله تعالى عليهم في القرآن وأبطله وأخبر أن الشفاعة كلها له والقرآن مملوء من أمثال هذا، ولكن أكثر الناس لا يُشعر بدخول الواقع تحته، ويظنه في قوم قد خَلَوْا ولم يعقبُ وارث، وهذا هو الذي يحول بين المرء وبين فهم القرآن**» لأنه يظن أن الشرك غير موجود في العصر الحاضر وهو في قوم مضوا.

○ قوله: «**كما قال عمر بن الخطاب** ﷺ: «**إِنَّمَا تنقض عرى الْإِسْلَام عُرْوَة عُرْوَة إِذا نَشأ فِي الْإِسْلَام من لم يعرف الْجَاهِلِيَّة**»» وهذا معنى صحيح؛ لأن الذي نشأ في الإسلام وهو لا يعرف الجاهلية وأمور الشرك وأفعال الجاهلية يقع فيها وهو لا يعلم ولا يظن أنها شرك، لكن الذي يعرف لا يقع فيها، فالصحابة الذين كانوا مشركين ثم أسلموا خبروا الشرك وذاقوا مرارته لذا لا يقعون فيه مرة أخرى بتوفيق الله وهم أكمل حالاً من أبنائهم؛ لأن أبنائهم الذين دخلوا في الإسلام بعضهم لا يعرفون الشرك، والذي لا يعرف الشرك قد يقع فيه وهولا يعلم.

○ قوله: «**ومن أنواعه: طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل الشرك في العالم، فزاروهم زيارة العبادة، وجعلوا قبورهم أوثاناً تُعبد**» أي: من أنواع الشرك: طلب الحوائج من الموتى، يقول: يا فلان أغثني، فرِّج كربتي، أعطني، ارزقني، والتوجه إليهم.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

اعلم يا أخي في الله ﷻ أن معنا أصلين عظيمين:

أحدهما: ألا نعبد إلا الله.

والثاني: ألا نعبده إلا بما شرع، ولا نعبده بعبادة مبتدعة.

وهذان الأصلان هما تحقيق لشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله،

ففي (الصحيحين) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذَا مَا لَيْسَ منه فَهُوَ رَدٌّ»[1] كما ذكرناه سابقاً.

ولهذا قال الفقهاء: العبادات مبناها على الاتباع لا على الابتداع، ويدل على هذا ما في الصحيحين أيضاً عن عمر رضي الله عنه، أنه قبَّل الحجر الأسود وقال: «والله إِنِّي أَعلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ ولَا تَنْفَعُ، ولَوْلَا أَنِّي رأَيْتُ رسول الله ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ» فتدبر وتفكر وتنَّبه، ولا تكن من الغافلين!

الشَّرْحُ

الفصل الثامن في بيان أن التوحيد مبني على أصلين:

الأصل الأول: ألا نعبد إلا الله، وهذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله، ويدل عليه قول النبي ﷺ في الصحيح: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»[2]، فإذا تخلف هذا الأصل حلَّ محله الشرك.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري: بَابُ بَدْءِ الوَحْيِ، رقم (١)، ومسلم: كتاب الإمارة رقم (١٩٠٧).

الأصل الثاني: ألا نعبد الله إلا بما شرع، ولا نعبده بالابتداع وهذا هو معنى شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ، ويدل عليه الحديث الذي ساقه المؤلف في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذَا مَا لَيْسَ فيهِ فَهُوَ رَدٌّ**».

وهذان الأصلان هما أصل الدين وأساس الملة أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ.

ويدل على ذلك أدلة منها:

قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وقوله تعالى: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان: ٢٢].

فإسلام الوجه: الإخلاص، **والإحسان**: كون العمل موافق للشريعة، والأدلة في هذا كثيرة.

○ قوله: «**ولهذا قال الفقهاء: العبادات مبناها على الإتباع لا على الابتداع، ويدل على هذا ما في الصحيحين أيضاً عن عمر رضي الله عنه، أنه قبَّل الحجر الأسود وقال: «والله إنِّي أعلَمُ أنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ ولَا تَنْفَعُ، ولَوْلَا أنِّي رأيْتُ رسول الله ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ»**» عمر رضي الله عنه قبَّل الحجر في موسم الحج، وأعلن للناس ليبين أن تقبيل الحجر لا يضر ولا ينفع، بل للتأسي بالنبي ﷺ، وقال: «**والله إنِّي أعلَمُ أنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ ولَا تَنْفَعُ ولَوْلَا أنِّي رأيْتُ النبيَّ** يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ»[1].

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الحَجِّ، بَابُ مَا ذُكِرَ فِي الحَجَرِ الأَسْوَدِ، برقم (١٥٩٧)، ومسلم: كِتَابُ الحَجِّ، رقم (١٢٧٠).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومن يتدبر الآيات القرآنية يتبين له معنى لا إله إلا الله، وتفكَّر في قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] وقد فسرها النبي ﷺ لعدي بن حاتم رضي الله عنه، أنه الأخذ بقول الرجال.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١].

فصار ذلك الأخذ عبادة لهم، وصاروا به أرباباً لهم من دون الله: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٨٠].

فمن تدبر هذه الآيات وما شاكلها تبين له معنى لا إله إلا الله، وتبيَّن له التوحيد الذي جحده أكثر من يدعي العلم في هذه القرون، وقد عمَّت البلوى بالجهل به بعد القرون الثلاثة، ولما وقع الغلو في قبور أهل البيت وغيرهم، وبُنيت عليها المساجد، وبُنيت لهم المشاهد والقِباب، فاتسع الأمر، وعظُمَت الفتنة في الشرك المنافي للتوحيد لمَّا حدث الغلو في الأموات، وتعظيمهم بالعبادة.

وبهذه الأمور عاد المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والبدعة سُنة، والسُّنة بدعة، نشأ على هذا الصغير، وهَرِمَ عليه الكبير، فتبين سر قوله: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ،

الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَه النَّاسُ».

الشَّرْح

يبين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن من تدبر الآيات تبين له معنى لا إله إلا الله، وأنها تنفي الألوهية عن غير الله، وتثبته الله وحده، وتبيَّن له التوحيد الذي جحده أكثر من يدعي العلم في هذه القرون فهم جحدوا التوحيد وجحدوا أن يكون الذبح والدعاء خاص بالله، وعندما وقع الغلو في أهل البيت «علي وفاطمة والحسن وزوجات النبي ﷺ» اتسعت الفتنة، وعظم الشرك المنافي للتوحيد بسبب الغلو في الأموات، وتعظيمهم بالعبادة، وبهذه الأمور عاد المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والبدعة سُنة، والسُّنة بدعة، نشأ عليها الصغير، وهَرِمَ عليه الكبير بسبب تطاول الأزمنة فتبين سر قوله ﷺ: **«إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا وَيَرْجِعُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَه النَّاسُ»**، ولفظ مسلم: **«بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»**[(١)]، ولفظ الترمذي: **«إِنَّ الدِّينَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْحِجَازِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا، وَلَيَعْقِلَنَّ الدِّينُ مِنَ الْحِجَازِ مَعْقِلَ الْأُرْوِيَّةِ مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ، إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا وَيَرْجِعُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِ ي مِنْ سُنَّتِي»**[(٢)]، بدأ غريباً بالنبي ﷺ وأصحابه وسيعود غريباً بسبب جحد كثير من الناس التوحيد الذي بعث الله به رُسُلُه فصار الإسلام غريباً!!

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٤٥).

(٢) أخرجه الترمذي، أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبًا، رقم (٢٦٣٠)، وقال: هذا حديث حسن.

وفي لفظ آخر: «**هم النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ**»[١]، وفي لفظ آخر: «**أُنَاسٌ صَالِحُونَ فِي أُنَاسِ سَوْءٍ كَثِيرٍ**»[٢].

والأحبار: هم العُلماء، **والرهبان**: هم العُبَّاد، ومعنى اتخذوهم أرباباً من دون الله أي: يشرِّعون لهم، ويحلِّون لهم الحرام فيحلونه، ويحرمون عليهم الحلال فيحرمونه وبهذا اتخذوهم أرباباً ؛ لأنَّ الرب هو المشَّرِّع، وقد ظن عدي بن حاتم رضي الله عنه عندما جاء للرسول أن العبادة هي الركوع والسجود فقال النبي ﷺ: «**أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟**» قلت: بلى فَقَالَ: «**تِلْكَ عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُم**»[٣]، أي: أن طاعتهم في التحليل والتحريم شرك.

(١) أخرجه ابن ماجه أبواب الفتن، باب بدأ الإسلام غريبا، رقم (٣٩٨٨)

(٢) أخرجه أحمد (٦٧٦٠).

(٣) أخرجه الترمذي بنحوه: كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ رقم (٣٠٩٥)؛ والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٩٢)(٢١٨)؛ وابن بشران في الأمالي رقم (١٢٨٢) والبيهقي في السنن الكبرى(١٠ /١٩٨) رقم (٢٠٣٥٠) وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» رقم (١٨٦٢). وقال الترمذي: «هذا حديث غريب».

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وروى الترمذي وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى الله فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عليك لم يَضُرُّوكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ الله لك لم يَنْفَعُوكَ، جَفَّتْ الصُّحُفُ وَرُفِعَتِ الأَقْلَامُ، واعمل لله بالشكر في اليقين».

الشَّرْحُ

هذا حديث ابن عباس معروف، لكن دون زيادة «**واعمل لله بالشكر في اليقين**»[1]، وحفظ الله يكون في حفظ حدوده ومحارمه، بأن يؤدي الأوامر ويتجنب النواهي، ونتيجته أن يحفظك في نفسك وأهلك ومالك.

وقوله: «**تُجَاهَكَ**»: أي: أمامك، وأوصى بأن تتعرَّف إلى الله في وقت الرخاء والراحة حينما تكون صحيحاً، وأن تعبد الله، وتخلص العبادة له يعرفك في وقت المرض وفي وقت الشدة وفي وقت الحاجة وفي وقت الفقر وفي وقت تسلط الأعداء.

فالسؤال خاص بالله والاستعانة أيضاً خاصة بالله، وأخبر أن

(١) سبق تخريجه؛ أما زيادة «واعمل لله بالشكر لليقين» فلم أجدها.

الأمة لا يضرون بشيء لم يكتبه الله؛ لأن الضرر بيد الله، فالناس لا يملكون شيئًا، وإذا أصابك شيء على أيدي بعض الناس سواء كان نفعًا أو ضررًا، فالله تعالى هو من قدَّره لك، وكتبه في اللوح المحفوظ، فهذا كلُّه راجع لله ﷻ فعليك أن ترجع لله؛ لأنه الذي بيده الضر والنفع.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلاً فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ؟»، فقَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ، فَقَالَ: «انْزِعْهَا فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا» رَوَاهُ أَحْمَدُ.

الشَّرْحُ

حلقة من الصفر: أي: من نحاس، **والصفر**: النحاس الجيد[1]، وضعها الرجل سببًا للشفاء.

الواهنة: مرض في عضد الرجال، ووضع هذه الحلقة حتى تكون سببًا في شفائه من الواهنة.

فَقَال: «**انْزِعْهَا فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا**»[2] فيجب أن تتعلق القلوب بالله ﷻ، وهذا من المعصية والشرك الأصغر.

(١) تهذيب اللغة (١٢/ ١١٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه: كِتَابُ الطِّبِّ، بَابُ تَعْلِيقِ التَّمَائِمِ، رقم (٣٥٣١)، وأحمد في المسند، رقم (٢٠٠٠٠)، وابن حبان في صحيحه، رقم (٦٠٨٨).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومن الشرك: أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره، والاستغاثة هي طلب الغوث وهو إزالة الشدة، كالاستنصار: طلب النصر، والاستعانة: طلب العون، فكل ما قُصِدَ به غير الله مما لا يقدر عليه إلا الله كدعوات الأموات والغائبين؛ فهو من الشرك الذي لا يغفره الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧].

الشَّرْحُ

الاستغاثة بغير الله ودعاء غير الله من الشرك.

الاستغاثة: طلب الغوث، وهو إزالة الشدة فهي خاصة بالكرب كالغريق يستغيث بأحد ينقذه، كالاستنصار: طلب النُصرة، والاستعانة: طلب العون والإعانة، والدعاء عام في الرخاء والشدة.

ثم بين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن كل ما قُصِدَ به غير الله مما لا يقدر عليه إلا الله كدعوات الأموات والغائبين؛ فهو من الشرك الذي لا يغفره الله تعالى.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

فأخبر الله تعالى أنه لا أضل ممن يدعو أحداً دونه كائنا من كان، فليس لمن دعا غير الله إلا الخيبة والخسران، فلا يحصل للمشرك يوم القيامة إلا نقيض قصده، وصار المدعو للداعي عدوًّا فالداعي للغير في غاية الضلال، قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ الْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [النمل: ٦٢].

الشَّرْحُ

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦﴾ أخبر الله تعالى في هذه الآية أنَّه لا أحد أضل ممن يدعو من دون الله كائنًامن كان ؛ لأنه ليس له إلا الخيبة والخسران، فمن يدعو غير الله، كمن يدعو ميتًا، أو يدعو غائبًا، أو يدعو ملكًا، أو يدعو جنًا فهذا خائب ؛ لأنه لا يستجيب له، ولا يقضي حاجته فلا يحصل للمشرك يوم القيامة إلا نقيض قصده، ثم يوم القيامة هؤلاء المدعوون يعادون الذين دعوهم فيقولون: ما أمرناكم فلماذا دعوتمونا؟، إنما الدعاء حق لله فيكونوا أعداء لهم.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ» (١).

إنما نهى النبي ﷺ عن الاستغاثة به حماية لجناب التوحيد، وسداً لذرائع الشرك مخافة أن يقع من أمته الاستغاثة بمن لا يضر، ولا ينفع، ولا يسمع، ولا يستجيب من الأموات والغائبين، والطواغيت والشياطين والأصنام، وغير ذلك.

وقد وقع من هذا الشرك العظيم ما عمَّت به البلوى، حتى ظنوا أنَّ الميت يسمع وينفع، فتركوا الإسلام والإيمان رأساً، كما ترى عليه الأكثرين من جهلة هذه الأمة.

الشَّرْحُ

المنافق: يحتمل أنه عبدالله بن أُبي بن سلول، قال الشيخ سليمان بن عبدالله: «هذا المنافق لم أقف على تسميته، ويحتمل أن يكون هو عبدالله بن أُبَيّ، فإنه معروف بالأذى للمؤمنين بالكلام في أعراضهم ونحو ذلك، أما أذاهم بنحو ضرب أو زجر، فلا نعلم منافقًا بهذه الصفة»(٢).

---

(١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٥٩)، رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ ابْنِ لَهِيعَةَ، وَهُوَ حَسَنُ الْحَدِيثِ.

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص١٩٩).

وهذا الحديث فيه ضعف؛ لأن في سنده عبدالله بن لهيعة، وقد اختلط بأخره؛ لكن له شواهد.

○ قوله: «**إنما نهى النبي عن الاستغاثة به حماية لجناب التوحيد، وسداً لذرائع الشرك مخافة أن يقع من أمته الاستغاثة بمن لا يضر، ولا ينفع، ولا يسمع، ولا يستجيب، من الأموات والغائبين، والطواغيت والشياطين والأصنام، وغير ذلك**» ومن أعظم الشرك الاستغاثة بالأموات الغائبين، إذ الاستغاثة عبادة يُتعبد به الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله، فيطلب من المخلوق ما يقدر عليه ويستعاذ به فيما يقدر عليه، بخلاف ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يطلب إلا من الله ولا يستعاذ فيه إلا بالله[1].

وقد وقع من هذا الشرك العظيم ما عمَّت به البلوى، حتى ظنوا أنَّ الميت يسمع وينفع، والميت لا يستطيع أن ينفع نفسه حتى ينفع غيره، هو مشغول بنفسه، هو محتاج إليك، ولست بحاجة إليه.

وهؤلاء كما يقول المؤلف رحمه الله: «**تركوا الإسلام والإيمان رأساً**».

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١/١٠٦)، (١/١١٣)، (١/٣٢٩)، (١/٣٥٧)، (٢٧/٦٨).

فصل مهم وتنبيه مفيد

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

اعلم يا أخي في الله ﷻ كما أنَّ الأقفال أشكال وأصناف، منها ما له سنٌّ واحد، ومنها ما له سنَّان، ومنها ما له أسنان، ولا ينفتح كل واحد منها إلا بمفتاحها الخاص له، فلا ينفتح أبداً ما له سنٌّ واحد بمفتاح له أسنان متعددة، وكذا العكس. وكذا العبادات والطاعات لكلٍّ أشكالٌ وهيئات، بيَّنها رسول ﷺ أحسن بيان سواء كانت فعلية، أو قولية، كهيئة الصلاة، وإن مفتاحها التكبير، وختامها التسليم، وأن القراءة موضعها القيام، والتسبيح محله الركوع والسجود، وهكذا، فمن أتى كما بيَّن وفعل؛ فقد سَعُدَ وصار من المقبولين، ومن عكس أو زاد أو نقص فقد تعدَّى وظلم وصار من المردودين، وهكذا لها أمثلة تظهر لمن تدبر وتفكَّر من أولي الألباب، فاللهم إنا نسألك أن تجعلنا منهم.

ولماذا ذلك كذلك؟ لأن الدين والعبادات دواء من تركيب الحكيم العليم الخبير، الله رب السموات والأرض العزيز الحكيم، فيجب أن يؤتى به كما أمر وبيَّن بواسطة رسوله محمد ﷺ،كما أن الطبيب الحاذق من البشر بعدما يعرف الداء، يُركب له دواء مركباً من أشياء على كميات خاصة، فيركبون الأدوية حسب الأمراض بعد معرفتها فيعالجونها بها، فمن صادف ذلك ربما نفعه فصار سبباً للعافية والسلامة.

وأمَّا من خالف ذلك الطبيب، أو ركَّب هو بنفس أدوية بلا معرفة حقيقة خواصها وكمياتها، فربما صار سبباً لهلاك نفسه، وإهلاك غيره، فإن كان الأمر هكذا ،فليُعلم أن الدين والعبادات طُرقٌ وأسباب لإصلاح النفس الإنسانية، وتزكيتها من الأمراض والأدناس والأهوية الفاسدة، حتى يكون صاحبها لائقاً لقرب الله تعالى الخالق الحكيم ورضوانه.

الشرح

هذا الفصل يبين فيه المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن الأقفال والمفاتيح متعددة مختلفة، وذلك أن الأقفال أنواع وأشكال والمفاتيح أيضًا، وكل قفل لا ينفتح إلا بمفتاحه الخاص، وكذلك العبادات والطاعات أشكال وهيئات بينها الرسول ﷺ فبعضها فعلية، وبعضها قولية، مثل: (الصلاة والصيام والحج) فانظر هيئة الصلاة مفتاحها التكبير، وختامها التسليم، وأن القراءة موضعها القيام، والتسبيح محله الركوع والسجود، وهكذا.

المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يضرب الأمثلة الحسية حتى ينتقل منها الإنسان إلى الأمثلة المعنوية.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فطرق الدين والعبادات الصحيحة إنما هي ما بينه الذي خلق الخلق على لسان رسوله محمد ﷺ، فمن زاد على هذا أو نقص فقد خالف الحكيم الخلاق العليم، بتركيبه الأدوية من عند نفسه، فربما صار دواؤه داءً، وعبادته معصية وهو لا يشعر، لأن الدين قد كَمُل تمام الكمال، فمن زاد شيئاً فيه فقد ظنَّ الدين ناقصاً، وهو يكمله باستحسان عقله الفاسد وخياله الكاسد، فيا خسارة من هذا شأنه، فنعوذ بالله من الكفر بعد الإيمان، ومن الضلال بعد العرفان.

فإذا عرفت هذا حق المعرفة، علمت أن الذين اخترعوا الأوراد والأحزاب، كـ«دلائل الخيرات»، و«قصيدة البردة» و«الهمزية»، و«الأوراد الفتحية»، وغيرها من ورد فلان، وحزب فلان، وختم خواجه كان، قد زادوا في الدين أشياءً من عند أنفسهم افتراءً على الله، وعلى رسول الله ﷺ، ويقولون: يقول كذا، كذا مرة، من أين لهم هذا العدد؟ ويقولون: حزب يوم كذا ويوم كذا؛ من أين لهم تعيين هذا الشيء في هذا اليوم؟ فضلاً عمَّا في كلماتهم من الشركيات والكفريات، وتنزيل المخلوق منزلة الخالق، ودعاء الأموات وطلب الحاجات من المخلوقات، كما لا يخفى على من اطلع عليها من أولي الألباب.

أما يكفيك ما ورد في القرآن من الدعوات، وما ثبت عن الأنبياء عليهم السلام من الأوراد، وما صح بالأسانيد الصحيحة عن سيد

الكائنات سيدنا محمد رسول الله ﷺ، من الأوراد الموقتة والمطلقة، والليلية والنهارية، فإذا لم يكفك ما كفا رسول الله وأصحابه وتابعيهم بإحسان ـ عليهم الصلوات والتسليمات ـ، فلا كفاك الله أبداً، فتنَبَّه وتدبر، ولا تكن من الغافلين الغاوين.

الشرح

يبين المؤلف رحمه الله أن العبادة توقيفية، فمن زاد أو نقص فقد خالف الحكيم الخالق ﷻ؛ لأنه ركَّب أدوية من عند نفسه، وربما صار هلاكه في هذا الدواء الذي ركَّبه من نفسه، كذلك البدع والشرك تهلك الإنسان وتكون عبادته معصية وهو لا يشعر إذا عبد على معصية؛ لأن الدين كَمُلْ، فمن زاد على الدين شيئًا ظن أن الدين ناقص، إذا عرفت هذا حق المعرفة علمت أن الذين اخترعوا الأوراد والأحزاب هم مبتدعة مثل الصوفية.

فهناك ما صح عن رسول الله ﷺ من الأوراد المسائية والصباحية وبعد الصلوات، وهي ثابتة تكفي المؤمن، وإذا لم يكفك ما كفى رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم فلا كفاك الله أبداً.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فالحاصل: أنَّ معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله كقوله تعالى: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]؛ فلا بد من معرفة معنى الإله ومعنى العبادة.

فاعلم أن الإله من (أَلِهَ) أي: (سكن)، يقال: ألهت إلى فلان، أي: سكنت إليه، فالعقول السليمة لا تسكن إلا إلى ذكره، والأرواح السعيدة لا تفرح إلا بمعرفته؛ لأنه الكامل على الإطلاق دون غيره، قال الله ـ جلَّ ذكره ـ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [الرعد: ٢٨]. وقيل: أله الفصيل إذا ولع بأمه، والمعنى: أن العباد مألوهون ومولعون بالتضرع إليه في كل الأحوال.

وقيل: من أله الرجل يأله إذا فزع من أمر نزل به، فألهه أي: أجاره، فالمُجير لجميع الخلائق من كل المضار هو الله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨﴾ [المؤمنون: ٨٨].

وقيل: من أله الرجل إذا تعبد، وتأله إذا تنسك، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾ [الأعراف: ١٢٧][1] أي: عبادتك، والإله هو الذي تؤلهه القلوب محبة، وإجلالاً، وإنابة وإكراماً، وتعظيماً، وذلاً، وخضوعاً، وخوفاً ورجاءً، وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه، ودعاءً

(١) انظر: تفسير الطبري(١٣ / ٤٠/ ١٤٩٦٩).

له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله وحده، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الألوهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول: لا إله إلا الله، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، كما حققه العلامة ابن القيم في كتابه البدائع، وابن تيمية في كثير من كتبه.

الشرح

الإله من أله أي: سكن ويقال ألهت إلى فلان أي: سكنت إليه.

وأله إذا ولع لأن الناس مولعون بالتضرع إلى الله، وقيل: أله إذا فزع من أمر نزل به وفالناس يفزعون إلى الله، وأله يعني أجاره والمجير هو الله من جميع المضار.

قال ابن عباس ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] أي: عبادتك وهذا يدل على أنَّ فرعون له صنم يعبده.

والإله هو الذي تألهه القلوب محبة وإجلالاً وإنابة وإكراماً وتعظيماً وذلاً وخضوعاً وخوفاً ورجاءً وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاءً له ولا يصلح ذلك كله إلا لله وحده.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فمعنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، لأن الإله هو المعبود المُطاع، فإن الإله هو المألوه الذي يستحق أن يُعبد، وكونه يستحقه بما اتصف من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع، والإله هو المحبوب المعبود الذي تألهه القلوب بحبها، وتخضع له، وتذل له، وتخافه وترجوه وتُنيب إليه في شدائدها، وتدعوه في مهماتها، وتتوكل عليه في مصالحها وتلجأ إليه وتطمئن بذكره، وتسكن إلى حبه، وليس ذلك إلا لله وحده، ولهذا كانت كلمة لا إله إلا الله أصدق الكلام، وكان أهلها أهل الله وحزبه، والمنكرون لها أعداؤه وأهل غضبه ونقمته، فإذا صُححت صح بها كل مسألة وحال وذوق، وإذا لم يُصححها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله، وهذا هو الكلام عند أهل السنة جميعهم، فيا سعادة من هُدي إلى معرفة حقيقة دين الإسلام واتبعه.

ولا إله إلا الله هي كلمة الإخلاص المنافية للشرك.

وكلمة التقوى التي تقي قائلها من الشرك بالله، ولكن لا تنفع قائلها عند الله وفي دار الآخرة إلا بشروط:

الأول: العلم بمعناها نفياً و إثباتاً.

الثاني: اليقين، وهو كمال العلم بها المنافي للشك.

الثالث: الإخلاص المنافي للشرك.

الشَّرْح

○ قوله: «فمعنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، لأن

الإله هو المعبود المُطاع» فهذا هو المعنى الصحيح ؛ لأنَّ الإله هو المعبود، أمَّا من قال بأنَّ معناها: لا خالق إلا الله،من الصوفية والأشاعرة، فلو كان معناها كما فسروا، لكان كفار قريش مسلمين، ولكان أبو جهل موحدًا، وأبو لهب موحدًا؛ لأنهم يقولون لا خالق إلا الله، كما تقدم في إعراب (لا إله إلا الله).

فالإله هو المألوه الذي يستحق أن يُعبد ﷻ، وذلك لما يلي:

الأمر الأول: لما اتصف به من الصفات العظيمة كـ(الرحمة، القدرة، العلم، الصفح، الخلق الرزق، الإماتة، الإحياء، الحساب، وإلى غيرها...).

الأمر الثاني: كونه ﷻ هو المنعم على عباده والمتفضل عليهم بجميع النعم، ولهذا قال المؤلف هو المُستحق لما اتصف من الصفات التي تستوجب أن يكون هو المحبوب غاية الحب المبني على غاية الخضوع وهذه هي العبادة **فهي مبنية على ركنين:**

الأول: غاية الحب.

الثاني: غاية الخضوع والذل.

فالإله هو المحبوب والمعبود الذي تألهه القلوب بحبها، وتخضع له، وتخافه، وترجوه، وتلجأ إليه في شدائدها، وتدعوه في مهماتها، وتتوكل عليه في مصالحها، وتلجأ إليه، وتطمئن بذكره، وتسكن إلى حبه، وهذه كلها لله ﷻ، ولهذا كانت هذه كلها أصدق الكلام كما جاء في الحديث: **«أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلٌ»**[1]؛ لأنها تفيد معنى لا إله إلا الله،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب مَنَاقِبِ الأَنْصَارِ، بَابُ أَيَّامِ الجَاهِلِيَّةِ، رقم(٣٨٤١)، ومسلم :كتاب الشعر، رقم (٢٢٥٦).

ولهذا لما قال لبيد «**أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلٌ**» قال: صدقت، والجزء الثاني «**وَكُلُّ نَعِيمٍ لا مَحَالَةَ زَائِلُ**»؛ قَالَ: «**كَذَبْتَ نَعِيمُ الْجَنَّةِ لا يَزُولُ**»، فالشطر الثاني باطل والشطر الأول صحيح.

○ قوله: «**ولهذا كانت كلمة لا إله إلا الله أصدق الكلام، وكان أهلها أهل الله وحزبه، والمنكرون لها أعداؤه وأهل غضبه ونقمته، فإذا صُححت صح بها كل مسألة وحال وذوق، وإذا لم يُصححها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله، وهذا هو الكلام عند أهل السنة جميعهم**» إذا صحت هذه الكلمة صح كل منزل وكل حال، وإذا لم تصح وفسدت فهذا الفساد ناجم عن علوم الشخص وروحه وعقله وأعماله غير صحيحة.

○ قوله: «**فيا سعادة من هُدي إلى معرفة حقيقة دين الإسلام واتبعه**» أي: لا سعادة لمخلوق إذا لم يعلم بحقيقة الإسلام المُتبعة.

○ قوله: «**ولا إله إلا الله هي كلمة الإخلاص المنافية للشرك**» لا إله إلا الله هي كلمة الإخلاص؛ لأنها تنافي الشرك.

○ قوله: «**وكلمة التقوى التي تقي قائلها من الشرك بالله**» وهي كلمة التقوى لأنها تقي قائلها من الشرك.

○ قوله: «**ولكن لا تنفع قائلها عند الله وفي دار الآخرة إلا بشروط**» أي: لكن لا تنفع قائلها عند الله إذا لم يستوفِ قائلها الشروط وهي:

الأول: العلم بمعناها المنافي للجهل، أي: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً، المشتمل على النفي وعلى الإثبات «نفي العبادة عن غير الله وإثباتها إليه».

الثاني: اليقين، وهو كمال العلم بها ونفي الشك.

الثالث: الإخلاص وهو منافي للشرك.

الرابع: الصدق المانع من النفاق.

الخامس: المحبة المنافية للبغض.

السادس: الانقياد إلى حقوقها.

السابع: القبول بما فيها.

الثامن: الكفر بما يُعبد من دون الله.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فمن يقول: لا إله إلا الله، ولكن لا يفهم معناها، ولا يعمل به، فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا، أو كمثل العرض بلا ذات؛ أو كمثل اللون بلا طعم ولا رائحة طيبة؛ أو كمثل بندقية أو مدفع بلا سهم ولا رصاص، أو كمثل سيارة أو طيارة بلا بنزين... لأنَّ الله ﷻ قال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فالعلم مقدمٌ على القول والعمل؛ فمدار الأمر على القلب فإن كان القلب متعلقا ومفتوناً بغير الله، فذلك القلب خراب وأبتر، ولا يحصل شيء من مجرد الأعمال الصورية، والعبادات الرسومية بلا سلامة القلب؛ بل لا بد أولاً من سلامة القلب، ثم الأعمال الصالحة كما وردت بلا زيادة و لا نقصان.

الشَّرْحُ

هذا صحيح إذا كان يقول لا إله إلا الله ولا يعلم معناها فهو كمثل الحمار يحمل أسفارًا كاليهود، وكمثل العرض بلا ذات، مثل الجدار الآن ذات والعرض البوية بدون جدار لا تنفع، أي: فالعرض بدون ذات لا ينفع، وكذا اللون بلا طعم ولا رائحة لا ينفع اللون، وكذلك البندقية بلا سهم لا تنفع، والسيارة بلا بنزين لا تنفع، لهذا قال الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، فبدأ بالعلم قبل العمل.

فالعلم مقدم على القول والعمل قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] ثم قال: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، بدأ بالعلم

ثم العمل، وإذا كان القلب متعلقاً بغير الله لا تنفع معه الأعمال، ولكن إذا سَلِمَ القلب سَلِمَت الأعمال، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٨-٨٩].

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

واعلم أنه قد تقرر عند الحكماء أن المريض ما دام مريضاً، لا ينفعه غذاء أصلاً، ولو كان من ألذ الأطعمة وأحسنها؛ بل لابد أولاً من إزالة المرض إمَّا بالمسهل، وإما بالكي، وإما بالقطع، وإما بغير ذلك من العلاجات، ثم الاجتهاد في تحصيل القوة بالأغذية المناسبة، فكذلك الإنسان مادام مبتلى بمرض القلب الشرك ونحوه لا تنفعه عبادة وطاعة أصلاً، ولهذا أجمعوا على أن التخلية مقدمة على التحلية، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، تنفي أولاً الآلهة: الأنفسية والآفاقية، ثم تثبت الإله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد و لم يكن له كفواً أحد.

الشَّرْحُ

المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ضرب مثلاً حسيًا لينتقل الإنسان من المثل الحسي إلى المثل المعنوي، فمثَّلا بالمريض الذي لا ينفعه غذاء أصلًا ولا يتلذذ به، فلا بد من علاج المرض، فإذا عُولج المرض وشُفي حينها يتلذذ بالأطعمة، كذلك القلب المريض بالشرك المجبول على المعاصي لا يتلذذ بالأعمال بل لا بد أن تعالجه وتصححه في إزالة الشرك والبدع، فإذا صلح أصبحت الأعمال صالحة، ولهذا أجمعوا على أنَّ التخلية قبل التحلية، فالإنسان يتخلى من الأمراض والمفسدات ثم يتحلى.

فـ«**لا إله**»: تخلية أي: تتخلى من عبادة غير الله؛ لأن «لا إله»

فيها بطلان ونفي عبادة غير الله.

«إلا الله»: التحلية بالإيمان، وتتجمل بعد إبعاد المفسدات فتبعدها وتتنظف منها.

الآلهة الأنفسية: أي: في النفس، والآفاق، آفاق السموات والأرض، فإنه قد يكون الإنسان يتأله بالأنفس، وقد يكون يتأله بشيء في السموات والأرض كالشمس والقمر والنجوم وغيرها.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

يا أخي في الله سبحانه، الحمد لله قد عرفت معنى لا إله إلا الله، فاعرف الآن معنى العبادة معرفة صحيحة، لتكون من الموحدين الفالحين بحول الله وفضله، والعبادة غاية الخضوع فلا يُخضَع إلا لله.

والعبادة: الطاعة على كمالها فلا يُطاع إلا الله، والعبادة هي: الطاعة مع غاية الخضوع، وأنَّ لفظ العباد مأخوذ من العبادة فتكثر إضافته إلى الله تعالى، أمَّا لفظ العبيد فمأخوذ من العبودية بمعنى: الرِّق ؛ فتكثر إضافته إلى غير الله تعالى.

فلهذا قال العلماء : إن العبادة لا تكون في اللغة إلا إلى الله تعالى، وتدل الأساليب الصحيحة، واستعمال العربي الصراح على أن العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية، ناشئ عن استشعار القلوب عظمة المعبود، وللعبادة صور كثيرة في كل دين من الأديان شُرِعت لتذكير الإنسان بذلك الشعور بالسلطان الإلهي الأعلى، الذي هو روح العبادة وسرها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، يعني: «إِيَّاكَ نُوَحِّدُ وَنَخَافُ، وَنَرْجُوكَ يَا رَبَّنَا لَا غَيْرَكَ».

الشَّرْحُ

○ قوله: «يا أخي في الله سبحانه، الحمد لله قد عرفت معنى لا إله إلا الله، فاعرف الآن معنى العبادة معرفة صحيحة، لتكون من

الموحدين الفالحين بحول الله وفضله، والعبادة غاية الخضوع فلا يُخضَع إلا لله» أي: اعرف معنى العبادة التي تعبد الله بها، قال شيخ الإسلام العبادة هي: «**اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة**»[1] وباختصار العبادة هي الأوامر والنواهي، فأنت تفعل الأمر سواء كان هذا الأمر إيجابًا، مثل: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البَقَرَة: ٤٣]، أو استحبابًا، مثل: الأمر بالسواك، والنواهي باجتنابها من كونها تحريم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسرَاء: ٣٢] تحذيرللأمة، حتى لا يفعلوا الفواحش، أو كراهة كما في النهي عن الحديث بعد صلاة العشاء، فالعبادة هي الخضوع مع غاية المحبة.

○ قوله: «**والعبادة: الطاعة على كمالها فلا يُطاع إلا الله، والعبادة هي: الطاعة مع غاية الخضوع**» من لوازم العبادة الطاعة، فيلزم للعبادة الطاعة، ويلزم غاية المحبة وغاية الذُّل، فالعبادة هي كمال الحب وكمال الخضوع والذَّل.

وقد بين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ قول العلماء أنَّ العبادة لا تكون إلا لله، وفي أساليب العرب أنَّ العبادة ضرب من ضروب الخضوع بالغ حد النهاية، وهو الخضوع لله، واستشعار القلوب عظمة المعبود، تعظم الله، وتحب الله، وتخضع لله، وتؤمن بالله ﷻ.

○ قوله: «**وللعبادة صور كثيرة في كل دين من الأديان شُرِعت لتذكير الإنسان بذلك الشعور بالسلطان الإلهي الأعلى، الذي هو روح العبادة وسرها**» أي: للعبادة صور كثيرة في كل دين من الأديان

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٠/١٤٩).

شُرعت لاستشعار الإنسان بعظمة الإله الأعلى، فالشعور بسلطان الإلهية أي: أن تشعر بأن الله تعالى هو المعبود، كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: **«إِيَّاكَ نُوَحِّدُ وَنَخَافُ، وَنَرْجُوك يَا رَبَّنَا لَا غَيْرَكَ»**[1].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/٢٩/٢٧)؛ وابن جرير الطبري في تفسيره «جامع البيان» (١/١٥٧/١٧١)؛ وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده ضعيف».

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

والعبادة عبارة عمَّا يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف، والعبادة: الإطاعة، فكلُّ من أخذ بقول الغير بلا دليل فقد عبده، ومن أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرمه الله، فقد اتخذهم أرباباً.

الشَّرْح

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ العبادة هي الطاعة مع غاية المحبة والخضوع، الطاعة ثمرة من ثمرات العبادة، العبادة عبارة تجمع بين كمال الحب، وكمال الخضوع.

والعبادة عبارة عمَّا يجمع كمال الحب وكمال الذُّل والخضوع، وذكر أن كل من يأخذ عن أحد بلا دليل فقد قلَّده، والتقليد: الأخذ بقول الغير بلا دليل، أمَّا طاعة العلماء والأمراء في تحليل الحرام وتحريم الحلال فهذه هي عبادة الطاعة، أي: الطاعة في التحليل والتحريم، أمَّا أخذ القول بغير دليل فهذا تقليد، أمَّا من أطاع شخصاً في تحليل الحرام، وتحريم الحلال غير الرسول ﷺ مع علمه بتحريم ما أحلَّه أو تحليل ما حرَّمه واعتقد موافقة من أحلَّ أو حرَّم فقد عبد غير الله.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد روى الإمام أبو داود، والترمذي، وغيرهما عن عدي بن أبي حاتم رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ: «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله»، فقلت إنهم ما كانوا يعبُدُونهم. قال: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ، فَتُحَرِّمُونُهُ، ويُحِلُّونَ مَا حَرَّمَه اللهُ، فَتَحِلُّونَهُ؟» قلت: بلى، فَقَالَ: تِلْكَ عِبَادَتِكمْ إِيَّاهُم»(١).

الشَّرْح

سمى الطاعة في التحليل والتحريم عبادة، أما الطاعة في كونه يُطيعه في فعل المحرم ولا يرى حله فهذه معصية إن لم يكن الفعل في ذاته كفرًا، لكن كونه يطيعه في التحليل والتحريم، ويقول هذا حلال فيعتقد حِلَّه، ويقول عن الحلال هذا حرام، فيعتقد حرمته، هذا ضد الإسلام، ولكن كونه يطيعه مثلما يطيع المرؤوسين بعض الرؤساء وغيرهم في أمرهم بالمعصية وطاعتهم مع عدم اعتقاد ما أمرهم به، فهذا لا يكون عبادة بل معصية، لكن إذا أطاعه في التحليل والتحريم بأن كان الشيء حراماً واعتقد حِلَّه، أو كان حلالاً فاعتقد حرمته فهذا هو المعنى المقصود.

❀ ❀ ❀

(١) سبق تخريجه.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الله تعالى في وصف عباده المؤمنين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠]، فالرغبة، والرهبة، والخشوع، وغير ذلك من أنواع العبادة كالمحبة والدعاء، والتوكل، ونحو ذلك مختص بالله تعالى، لا يصلح منه شيءٌ لغيره تعالى كائناً من كان.

واعلم أنَّ مدلول لا إله إلا الله: التزام بعبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بما يعبد من دون الله، وهذا هو أصل دين الإسلام وقاعدته، ولهذا كانت هذه الكلمة كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام، والفارق بين المؤمنين والكافرين من الأنام، وهذا هو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

الشَّرْحُ

كذلك ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: الرهبة، والرغبة، والخشوع من أنواع العبادة، وأيضًا الدعاء، والتوكل، والإغاثة، والركوع، والسجود، وغيرها، فهذه أنواع العبادة التي هي خاصة بالله تعالى لا تصرف منها شيء إلا لله، كما قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥] وقوله: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولكن قد تلطف الشيطان في التحيل والمكر والمكيدة حتى أدخل الشرك وعبادة الصالحين على كثير ممن ينتسب إلى الإسلام في قالب محبة الصالحين والتشفع بهم، وأن لهم جاهاً، ومنزلةً يشفعون بها لمن دعاهم ولاذ بهم.

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ»، فلا يُدعى غير الله فيما لا يقدر عليه، فتوحيد العبادة أن تخص جميع أنواع العبادة لله تعالى وحده.

ومن أنواعها: الاستعانة، والاستغاثة، والنداء في الشدائد، والرجاء، واللجاء، والنذر والنحر، فلا يكون شيءٌ منها إلا لله وحده، فمن يفعل شيئاً من ذلك لمخلوق من حي أو ميت أو جماد فقد أشرك في العبادة.

وصار من يُفعل له هذه الأمور إلهاً لعابديه، سواء كان ملكاً، أو نبياً، أو ولياً، أو شجراً، أو حجراً، أو قبراً، أو جنياً، وصار بهذه العبادة ـ أو بأي: نوع منها ـ عابداً لذلك المخلوق وإن أقرَّ بالله وعبده، فإن إقرار المشركين بالله وتقربهم إليه لم يخرجهم عن الشرك؛ بل لا بد من الكفر بالطواغيت وكل ما يعبد من دون الله.

وقد قال الله ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

الشَّرْحُ

من تحيُّل الشيطان أنه أدخل الشرك وعبادة الصالحين على كثير

من الناس من باب محبة الصالحين، والتشفع بهم، وأن لهم منزلاً، وجاهاً، فالشيطان يقول لبعض الصالحين: إن تنذر له، أو تذبح له، ليس عبادة!، بل هو محبة لهم!، وتَشَفُّعٌ بهم!، وهذا جاه ومنزلة!، فهم يشفعون لمن دعاهم!، فالشيطان زيَّن لهم الشرك وتعظيم الصالحين.

○ قوله: «**وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ»[1]، فلا يُدعى غير الله فيما لا يقدر عليه، فتوحيد العبادة أن تخص جميع أنواع العبادة لله تعالى وحده**» والأصح من هذا الحديث قوله «**الدُّعَاءُ هو العِبَادَةِ**»[2] فلا يُدعَى غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

○ قوله: «**ومن أنواعها: الاستعانة، والاستغاثة، والنداء في الشدائد، والرجاء واللجاء، والنذر والنحر، فلا يكون شيءٌ منها إلا لله وحده، فمن يفعل شيئاً من ذلك لمخلوق من حي أو ميت أو جماد فقد أشرك في العبادة...**» فتوحيد العبادة أن تخص جميع أنواع العبادة لله تعالى، مثل: الاستغاثة، والاستعانة، والرجاء، واللجاء، والنذر، والنحر، وهذه سبق تكرارها، فلا يصرف شيء منها لغير الله، فإذا دعا غير الله، أو استعان أو استغاث أو التجأ بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، كما أنه من تُفعل له هذه الأمور يسوؤه ذلك سواء كان نبياً أو ملكاً أو ولياً أو شجراً أو حجراً، ومنهم يرضى

---

(١) أخرجه الترمذي: كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَاب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الدُّعَاءِ، رقم(٣٣٧١)، والطبراني في الدعاء، رقم (٨) وفي المعجم الأوسط رقم (٣١٩٦).

(٢) أخرجه أبو داود: كِتَاب الصَّلَاةِ، بَابُ الدُّعَاءِ، رقم (١٤٧٩)؛ والترمذي كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الْمُؤْمِنِ، رقم (٣٢٤٧) وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»؛ وابن ماجه: كِتَابُ الدُّعَاءِ، بَابُ فَضْلِ الدُّعَاءِ، رقم (٣٨٢٨) والحاكم في «المستدرك» برقم (١٨٠٢) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».

وهذا من رؤوس الطواغيت كما ذكر الإمام المجدد، فمن فعل ذلك كان عابداً لغير الله حتى لو كان يقر بالله ويؤمن به ويعظمه، فلابد أن يخلص العبادة لله.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

اعلم أن كثيراً من الناس يسمون أنفسهم موحدين وهم يفعلون مثلما يفعل جميع المشركين: من دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، والنذر لهم؛ ولكنهم لا يسمون أعمالهم هذه عبادة.

فيفسدون في اللغة، كما يفسدون في الدين، وقد يسمونها توسلاً وشفاعة، ولا يسمون من يدعونهم من دون الله أو مع الله شركاء، ولكنهم لا يأبون أن يسموهم أولياء وشفعاء، وإنما الحساب والجزاء على الحقائق لا على الأسماء، ولو لم يكن منهم إلا دعاء غير الله ونداؤه لقضاء الحاجات وتفريج الكربات، لكفى ذلك عبادة له وشركاً بالله ﷻ. وقال النبي ﷺ: «الدُّعَاءُ هو العِبَادَةِ» رواه أبو داود والترمذي، وهذا يفيد حصر العبادة الحقيقية في الدعاء، ومن تأمل تعبير الكتاب العزيز عن العبادة بالدعاء في أكثر الآيات الواردة في ذلك، يعلم ـ كما يعلم من اختبر أحوال البشر في عباداتهم ـ، أن الدعاء هو العبادة الحقيقية الفطرية التي يثيرها الاعتقاد الراسخ من أعماق النفس، ولا سيما عند الشدة.

وأما ما عدا الدعاء من العبادات في جميع الأديان فكله أو جُلُّه تعليميٌّ تكليفي يُفعل بالتكلف والقدوة، وقد يكون في الغالب خالياً عن الشعور الذي به يكون القول أو العمل عبادة، وهو الشعور بالسلطة الغيبية التي هي وراء الأسباب العادية، أما ترى إلى حافظ الأدعية الراتبة يحرك بها لسانه وقلبُه مشغول بشيء آخر وإنما العبادة

وجد العبادة بالدعاء الذي يفيض على اللسان من سويداء القلب وقرارة النفس، وهذا الدعاء الخالص الذي يخشاه جلال الإخلاص.

الشَّرْح

كثير من الناس يسمون أنفسهم موحدين، وهم يفعلون أفعال المشركين، فيدعون الأموات؛ لكن لا يسمون أعمالهم عبادة!

○ قوله: «**فيفسدون في اللغة، كما يفسدون في الدين، وقد يسمونها توسلاً وشفاعة، ولا يسمون من يدعونهم من دون الله أو مع الله شركاء، ولكنهم لا يأبون أن يسموهم أولياء وشفعاء**» أي: فساد في الدين حيث أنهم مشركين، وفساد في اللغة حيث أنهم يسمون شركهم توحيداً أو توسلاً أو شفاعة، والعبرة في الحقائق وليست في الأسماء، لذا يسمِّي البعض الخمر شراب الروح، كذلك بعض الناس يسمي الربا عمولة أو ربحًا مرتبًا أو فائدة، لذلك الإنسان الذي يعبد غير الله ويسميهم شفعاء، هذا مشرك.

ثم نبه المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ على قاعدة نفيسة وهي: «**إنما الحساب والجزاء على الحقائق لا على الأسماء**» ذلك أن هؤلاء الذين يسمون أنفسهم موحدين «**لو لم يكن منهم إلا دعاء غير الله ونداؤه لقضاء الحاجات وتفريج الكربات، لكفى ذلك عبادة له وشركاً بالله** ﷻ».

○ قوله: «**وقال النبي** ﷺ: «**الدُّعَاءُ هو العِبَادَةِ**»[1] **رواه أبو داود والترمذي، وهذا يفيد حصر العبادة الحقيقية في الدعاء**» ففي قول النبي ﷺ حصر يدل على أن العبادة تكون بالدعاء.

---

(١) سبق تخريجه.

○ قوله: «**ومن تأمل تعبير الكتاب العزيز عن العبادة بالدعاء في أكثر الآيات الواردة في ذلك، يعلم ـ كما يعلم من اختبر أحوال البشر في عباداتهم ـ، أن الدعاء هو العبادة الحقيقية الفطرية التي يثيرها الاعتقاد الراسخ من أعماق النفس، ولا سيما عند الشدة**»
أي: من تأمل عبادة الدعاء في أكثر الآيات يعلم أن الدعاء هو العبادة الحقيقية الفطرية التي تنشأ عن القلب، ويثبتها الاعتقاد الراسخ.

ثم ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن العبادات الأخرى قد يعتادها الإنسان وتجري معه مجرى النَّفَس، بخلاف الدعاء الذي يكون نابعًا من القلب «**وإنما العبادة جدُّ العبادة بالدعاء الذي يفيض على اللسان من سويداء القلب وقرارة النفس**»، ولهذا حافظ الأدعية الراتبة يحرك لسانه، وقلبه مشغول بآخر، فبصره في شتات هنا وهنا، وقلبه مشغول؛ لأنها صارت أمرًا عاديًا، بخلاف الداعي لله في الغالب فإنه يكون عنده شعور وإحساس.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فإذا عرفت ما ذكرنا فاعلم أنَّ المشركين الذين دعاهم النبي ﷺ إلى الإيمان كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، كما بيَّن الله تعالى في كتابه ولم يدخلهم ذلك التوحيد في الإسلام، بل قاتلهم رسول الله ﷺ إلى أن يقروا بتوحيد الألوهية، وهو معنى: لا إله إلا الله.

والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها، والكفار الجُهَّال كانوا يعلمون أنَّ مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالعبادة، والتبرؤ مما يعبد من دون الله والكفر به، فإنه لما قال لهم: قولوا: «لا إله إلا الله». قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [صٓ: ٥].

الشَّرْحُ

○ قوله: «**فإذا عرفت ما ذكرنا فاعلم أنَّ المشركين الذين دعاهم النبي ﷺ إلى الإيمان كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، كما بيَّن الله تعالى في كتابه ولم يدخلهم ذلك التوحيد في الإسلام، بل قاتلهم رسول الله ﷺ إلى أن يقروا بتوحيد الألوهية، وهو معنى: لا إله إلا الله**» أي: لتعلم أن المشركين الذين دعاهم النبي ﷺللإيمان كانوا مقرين بتوحيد الربوبية والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٨٧﴾ [الزخرف: ٨٧]؛ وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨﴾ [المؤمنون: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ

﴿ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١]، إذن فهم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية لكن هل دخلوا به في الإسلام؟

● **الجواب**: لا، لم يدخلوا به؛ لأن الرسول دعاهم للدخول بالإسلام، وهو الإقرار بتوحيد الألوهية، وهو معنى لا إله إلا الله.

○ قوله: «**والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها، والكفار الجُهَّال كانوا يعلمون أنَّ مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالعبادة، والتبرؤ مما يعبد من دون الله والكفر به، فإنه لما قال لهم: قولوا: «لا إله إلا الله». قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥]**» هذه الكلمة معناها مشتملة على النفي والإثبات، نفي العبادة لغير الله، وإثبات العبادة لله وحده.

قال: والكفار الجُهَّال كانوا يعلمون أن مراد النبي ﷺ هو إفراد الله بالعبادة، والبراءة من كل ما يعبد من دون الله؛ لأن النبي ﷺ عندما قال لهم: «**قولوا لا إله إلا الله**» ماذا قالوا؟ قالوا: «**أنجعل الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**»(١).

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال لعمه أبي طالب لما عاده في مرضه وعنده أَبُو جَهْلٍ: «**إِنَّمَا أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، ثُمَّ تُؤَدِّي إِلَيْهِمُ الْعَجَمُ الْجِزْيَةَ**» فَقَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ ومن معه؛ فَقَالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ

---

(١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» كتاب السير، مِمَّنْ تُؤْخَذُ الْجِزْيَةُ، رقم(٨٧١٦)، وأحمد في المسند، برقم(٢٠٠٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف»، رقم (٣٦٥٦٤)، وأبو يعلى في مسنده رقم (٢٥٨٣)؛ والحاكم في المستدرك رقم (٣٦١٧) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ» ووافقه الذهبي.

﴿عُجَابٌ ۝٥﴾[1]؛ لأنه يعرف المعنى.

وبعض الناس الآن لا يعرف معنى (لا إله إلا الله)، ويطوف بالبيت، ويقول: يا رسول الله، يا علي، ودعاؤه شرك، وهو يقول: لا إله إلا الله، لكنه لا يعلم معناها جاهلاً.

(١) تقدم في الحديث السابق.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد عرفت أن جُهَّال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار؛ بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق، ولا يرزق إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا الله!! فلاخير في رجل جهال الكفار أعلم منه، بمعنى لا إله إلا الله.

الشَّرْح

هذا من كلام الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، فجهال الكفار يعلمون معنى (لا إله إلا الله)، والعجب ممن يدعي الإسلام، وهو لا يعرف تفسير الكلمة مما عرفه الجهال الكفار، فالحاذق منهم واللبيب يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله، فلاخير في رجل مسلم لا يعلم معنى (لا إله إلا الله) إذ جهال الكفار أعلم منه بمعنى (لا إله إلا الله)، وجهال الكفار يعلمون معناها!!

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد ذكر الله تعالى في كتابه أن المشركين يقرون بالربوبية، وأنه كفرهم بتعلقهم بالملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وهذا أمر محكم بيِّن لا يقدر أحد أن يغير معناه.

وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤] الآية.

أمر الله نبيه أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى لا إله إلا الله، الذي دعا العرب وغيرهم إليه، والكلمة هي كلمة لا إله إلا الله، ففسرها بقوله ألا نعبد إلا الله، فقوله ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ فيه معنى (لا إله)، وهي نفي العبادة عما سوى الله تعالى، و﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هو المستثنى في كلمة التقوى والإخلاص.

الشَّرْحُ

يبين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن المشركين يقرون بالربوبية كما سبق في الآيات، وأن الله كفرهم؛ لأنهم متعلقين بالملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وهذا شرك، وهذا أمر محكم بيِّن لا يقدر أحد أن يغير معناه، قال الله تعالى في كتابه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ﴾ ـ النص صار بينهم، أي: الفيصل والحكم ـ ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟

﴿ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤] هذه الآية خاصة لمشركي العبادة.

أمر الله تعالى نبيه أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى(لا إله إلا الله) في آية التوحيد وهي ﴿تَعَالَوْا﴾ وهذا أمر من الله لنبيه ليدعو أهل الكتاب إلى لا إله إلا الله، كما دعا العرب وغيرهم من الناس.

والكلمة هي كلمة «لا إله إلاالله» وفسرها بقوله ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، وقوله ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ فيه معنى «لا إله»، وهي نفي العبادة عما سوى الله تعالى.

«إلا الله»: هو المستثنى في كلمة التقوى والإخلاص، وهي مشتملة على النفي والإثبات.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومثل هذه الآية كثير يبين أن الإلهية هي العبادة، وأنه لا يصلح منها شيءٌ لغير الله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]. وهذا توحيد العبادة، وهو دعوة الرسل بأجمعهم، إذ قالوا لقومهم: أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره.

فلا بد من نفي الشرك في العبادة رأساً، والبراءة منه، وممن فعله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧].

وقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [الممتحنة: ٤]. فأصل دين الإسلام إنما هو عبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك.

فمن: قال لا إله إلا الله، ومع ذلك يفعل الشرك الأكبر: كدعاء الموتى، والغائبين، وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، والتقرب إليهم بالنذر والذبائح، فهذا مشرك شاء أم أبى.

لأن التحقيق الحق: أن المعنى الكلي الجامع لكل ما ذكر في تعريف العبادة، هو: أن العبادة كل عمل من أعمال القلب واللسان والجوارح يعده صاحبه قربةً لمن له سلطان غيبي فوق إدراك العقل غير مقيد بالأسباب المسخرة للناس، فيستطيع أن ينفع، أو يضر من

غير طريق الأسباب التي ينفع أو يضر بها بعض الناس بعضًا.

الشرح

يبين المؤلف رحمه الله أن هذه الآية مثلها كثير، وأن الإلهية هي العبادة وأنها لا تصرف لغير الله، وهذا هو توحيد العبادة، وهي دعوة الرسل من أولهم لآخرهم، قال تعالى عن نوح: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقوله: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقوله: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقوله: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥] فلا بد من نفي الشرك في العبادة والبراءة منه وممن فعله، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزخرف: ٢٦] هذا نفي الشرك وهو معنى: «لا إله»، ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٧] وهو معنى: «إلا الله»، وهو الإثبات.

○ وقوله: «﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [الممتحنة: ٤]. **فأصل دين الإسلام إنما هو عبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك**» أي: البراءة من عبادة غير الله، والبراءة من المشركين، وتكفيرهم حتى يؤمنوا بالله، فأصل دين الإسلام هو عبادة الله وحده.

○ قوله: «**فمن: قال لا إله إلا الله، ومع ذلك يفعل الشرك الأكبر: كدعاء الموتى، والغائبين، وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج**

الكربات، والتقرب إليهم بالنذر والذبائح، فهذا مشرك شاء أم أبى» أي: ولو لم يسميه شركًا، وقال: إنَّ هذا عبادة وهو من محبة الصالحين فهذا شرك؛ لأن الألفاظ لا تُغير من الحقائق شيئاً.

لأن الأمر كما قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**التحقيق الحق: أن المعنى الكلي الجامع لكل ما ذكر في تعريف العبادة، هو: أن العبادة كل عمل من أعمال القلب واللسان والجوارح يعده صاحبه قربةً لمن له سلطان غيبي فوق إدراك العقل غير مقيد بالأسباب المسخرة للناس**» ذلك أنه يستطيع أن ينفع، أو يضر من غير طريق الأسباب التي ينفع أو يضر بها بعض الناس بعضاً.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

والإله المعبود هو صاحب هذا السلطان الغيبي سواء له من ذاته لذاته، وهو رب العالمين كلهم، وهو المعبود بحق، أو كان له بما يعتقد من قربه من الرب تعالى، وتأثيره في إرادته بحيث يفعل الرب لأجله، أو يمكنه من الفعل، وهذا هو المعبود الباطل؛ لأن الرب لا يُشرك في فعله، ولا في حكمه أحداً.

قيل للحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: «إِنَّ نَّاسَاً يَقُولُونَ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ؟ قال: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَأَدَّى حَقَّهَا وَفَرائضَهَا.

وغالب من يقول: لا إله إلا الله، إنما يقولها تقليداً ولم تخالط بشاشة الإيمان قلبه، فلا يعرف ما تنفيه وما تثبته، ومن لا يعرف ذلك يُخشى عليه أن يُصرف عنها عند الموت، وفي القبور أمثال هؤلاء يقولون كما في الحديث الصحيح: «سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ...» الحديث.

الشَّرْحُ

الإله: هو المعبود وهذا بلا شك، والله تعالى هو صاحب السلطان الغيبي، الله تعالى وحده من يعلم الغيب، وهو رب العالمين لا معبود بحق سواه.

○ قوله: «**قيل للحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: «إِنَّ نَّاسَاً**

يَقُولُونَ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ؟ قال: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَأَدَّى حَقَّهَا وَفَرائضَهَا»[1] وحقها: إفراد الإلهية والعبودية لله تعالى، والقبوريون لم يفردوا الإلهية والعبادة، فلم تنفعهم كلمة الشهادة، ومن حقها: أداء الواجبات وترك المحرمات.

○ قوله: «**وغالب من يقول: لا إله إلا الله، إنما يقولها تقليداً ولم تخالط بشاشة الإيمان قلبه، فلا يعرف ما تنفيه وما تثبته، ومن لا يعرف ذلك يُخشى عليه أن يُصرف عنها عند الموت، وفي القبور أمثال هؤلاء يقولون كما في الحديث الصحيح: «سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ...» الحديث**»» أي: في القبور عندما يسأله الملكان من ربك وما دينك من نبيك؟، كما جاء في الحديث عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] قَالَ: «**فِي القَبْرِ إِذَا قِيلَ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ، وَمَا دِينُكَ، وَمَنْ نَبِيُّكَ**»[2].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الشجري في «أماليه» رقم (٢١)، وقوام السنة في «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ١٥٧/ ٩١).

(٢) أخرجه أبو داود: كِتَاب السُّنَّةِ، بَابٌ فِي الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، رقم (٤٧٥٣)، والترمذي: أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام؛ رقم (٣١٢٠)، وأصله في الصحيحين بألفاظ متقاربة.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الحافظ زين الدين عبدالرحمن بن رجب: ومن تحقق معنى «لا إله إلا الله» في قلبه فعلامته ألا يؤله القلب غير الله حباً ورجاء وخوفاً وتوكلاً واستعانةً وخضوعاً وإنابةً وطلباً، وتحققه بأن محمدًا رسول الله ﷺ ألا يعبد الله بغير ما شرعه على لسان محمد ﷺ، وقد جاء هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ» قِيلَ: مَا إِخْلَاصُهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَحْجُزَكَ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ عليك» ولهذا قد ورد إطلاق الإله على الهوى المُتَّبع قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] ولهذا قد أطلق الشرك على كثير من الذنوب التي منشؤها من اتباع هوى النفس أو طاعة غير الله أو نحو ذلك، فقد ورد: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ»، فصار الدينار والدرهم معبوده وإلهه.

والذين حققوا قول: لا إله إلا الله، هم عباد الرحمن الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢] اللهم اجعلنا منهم بفضلك ومَنِّك.

اعلم أن المشركين إنما قصدهم تعظيم الله تعالى، وأنه لعظمته، لا ينبغي الدخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك، فالمشرك لم يقصد الاستهانة بمقام الرب جل جلاله وإنما قصده تعظيمه بحسب زعمه وقال: إنما أعبد هذه الوسائط لتقربني إليه

وتدخلني عليه فهو المقصود، وهذه وسائل وشفعاء.

الشَّرح

ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: أن من حقق الإيمان بالله في قلبه فهذا يدل عليه علامة، وهي ألا يؤله القلبُ غيرَ الله حبًا، وجاهًا، وخوفًا، وأداءً، وتوكلًا، واستعانةً، وخضوعًا.

وكذلك تحقق شهادة أن محمدًا رسول الله بأن لا يعبد الله إلا بشيء شرعه الرسول ﷺ، وقد جاء هذا المعنى ـ كما يقول الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في قوله ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة**» قِيلَ: وَمَا إِخْلَاصُهَا؟ قَالَ: «**أَنْ تَحْجُزَهُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ ﷻ**»[1]، وهذا من جهة العموم بأن لا ينتهك ما حرم الله، وهو قدر مدى تقديم الإله على الهوى المُتَّبع، وقد أُطلق الشرك على كثير من الذنوب التي منشؤها من اتباع هوى النفس أو طاعة غير الله لهذا قال: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ**»[2] ـ سماه عابد الدينار، وهو المشرك ـ، فصار الدينار والدرهم معبوده وإلهه.

والذين حققوا قول لا إله إلا الله هؤلاء هم عباد الرحمن الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، اللهم اجعلنا منهم بفضلك ومَنِّك.

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط»، رقم (١٢٣٥)، وقال الهيثمي (١/١٨): «رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير»، وَفِي إِسْنَادِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ غَزْوَانَ، وَهُوَ وَضَّاعٌ»؛ وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم (١/ ٥٢٣): «وَرُوِيَ ذَلِكَ مُسْنَدًا مِنْ وُجُوهٍ أُخَرَ ضَعِيفَةٍ».

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ الحِرَاسَةِ فِي الغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللهِ، رقم (٢٨٨٦).

ثم بين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن قصد المشركين إنما هو تعظيم الله تعالى، وإنه لعظمته في قلوبهم لا ينبغي الدخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء وهذا اعتقاد باطل فاسد، فجعلوه كحال الملك والرئيس لا تدخل عليه إلا بواسطة وهذا غلط، فهم لم يقصدوا الاستهانة بمقام الرب جل جلاله، وإنما قصدهم التعظيم بحسب زعمهم.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم إنّ الشرك شركان:

شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله.

وشرك في عبادته ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته، وصفاته، وأفعاله.

وهذا إنما يصدر غالباً ممن يعتقد أنه لا إله إلا الله، وهكذا حال أكثر الناس، وهو الشرك الذي قال فيه النبي ﷺ: «الشِّرْكُ في هذه الأمة أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِة. قيل: فكَيْفَ ننجو منه يا رسول الله؟، قال: قل: اللهم إني أعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وأنا أعْلَم، وأسْتَغْفِرُكَ لِمَا لا أعلم». رواه ابن حبان في (صحيحه).

الشَّرْحُ

الشرك نوعان:

النوع الأول: شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته، كأن يعتقد بأن لله صاحبة، أو أن هناك مدبرًا، أو هناك خالقًا، أو رازقًا، أو يعتقد أن لله مثيلاً في أسمائه وصفاته يجهل أسماء الله، ويجهل صفاته فهذا شرك يتعلق بذات المعبود.

النوع الثاني: يتعلق بمعاملته ومثال المعاملة: الصلاة، والصيام، والحج، وأيضًا الدعاء، الذبح، النذر وغير ذلك من أنواع العبادة.

وهذا ما يصدر غالباً ممن يعتقد أنه لاإله إلا الله، إلا أنه مبتلى بالشرك الذي قال فيه النبي ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا الشِّرْكَ، فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**» فَقَالَ: مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ: وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ يَا رَسُولَ اللهِ، وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ**»[1]، هذه كفارة لما يقع من الإنسان وهو لا يشعر فيدعو بهذا الدعاء.

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، بَابُ فَضْلِ الدُّعَاءِ؛ رقم (٧١٦) وأحمد في «المسند»، رقم (١٩٦٠٦)، وأبو يعلى الموصلي في المسند، رقم (٥٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» رقم (٣٤٧٩).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

قال الشيخ أحمد السرهندي في المكتوب الثالث من المجلد الثالث من (مكتوباته): لا إله إلا الله: لا أحد يستحق الألوهية والمعبودية إلا الله الذي لا نظير له، فإن المستحق للعبادة التي هي عبارة عن كمال التذلل والخضوع والانكسار، إنما ثبت لمن له جميع الكمالات وسُلِبَ عنه جميع النقائص، واحتاج إليه جميع العالم والأشياء في الوجود وتوابع الوجود، وهو ليس بمحتاج في أمر إلى شيء أصلا، وهو الضار النافع، لا شيء يقدر إيصال ضرر، أو نفع إلى أحد إلا بإذنه، وإشراك أحد في عبادته ـ جل وعلَّا ـ بمجرد التوهم نهاية الخذلان والخسران.

فينبغي أن ينفي بتكرار لا إله إلا الله، شريك وجوب الوجود، وشريك استحقاق العبادة؛ بل الأهم الثاني نفي شريك استحقاق العبادة المخصوص بدعوة الرسل ـ عليهم الصلوات والتسليمات ـ.

فإن المخالفين ينفون أيضا شريك وجوب الوجود بدلائل عقلية، ولكنهم غافلون عن معاملة استحقاق العبادة، لا يتحاشون عن عبادة الغير، والمشرك في لسان الأنبياء من يكون أسيراً لعبادة غير الحق سبحانه، فمن لم يتحقق بما قاله الأنبياء من نفي استحقاق ما سوى الله تعالى العبادة لا يتخلص عن الشرك، ولا ينجو من شعب شرك عبادة الآلهة الآفاقية والأنفسية، وهو المقصود من بعثة الرُسُل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ، وقد قالوا: «إن كل ما هو مقصود

كمعبودك، فمعنى لا إله إلا الله : لا مقصود إلا الله، كما أنه لا معبود (بحق) إلا الله، ولا رب إلا الله.

الشَّرْح

فلا أحد يستحق الألوهية والعبودية غير الله، الذي لا نظير له؛ لأنه المستحق للعبادة التي هي عبارة عن كمال الذل والخضوع والانكسار، اذًا الذي يستحق العبادة هو من له غاية الكمال والذي سُلبَ عنه جميع النقائص، والذي يحتاج إليه العالم، والله تعالى له جميع الكمالات، والعوالم كلها محتاجة إليه، والأشياء في الوجود وتوابع الوجود والعالم كلها محتاجة إليه ﷻ؛ لأنه هو من أوجدها وتوابعها من الإحياء والإماتة، وليس بمحتاج إلى أي: منها أصلا، لأنه ضار نافع لا شيء يحدث إلا بإذنه وإشراك أحد في عبادته جلَّ وعلا بمجرد التوهم هذا هو الإذلال والخسران.

○ قوله: «**فينبغي أن ينفي بتكرار لا إله إلا الله، شريك وجوب الوجود، وشريك استحقاق العبادة**» أي: **الشرك شركان**: إذا قلت (لا إله إلا الله) تنفي شريك وجوب الوجود، أي: الشريك لله في ذاته أو أسمائه أو صفاته أو أفعاله، وشريك استحقاق العبادة: وذلك بأن تنفي الشريك في العبادة والألوهية كالدعاء، والذبح، والنذر، والصلاة، والصيام.

وبعض الناس ينفي الشرك عن الله وعن أسماء الله و صفاته بالعقل لكنهم غافلون عن معاملة شريك العبادة فيقعون في شرك العبادة، وإن كانوا سلموا أو تبرؤوا من شرك ذات المعبود لكنهم وقعوا في شرك العبادة، فلابد من التخلص من نفي العبادة عن غير الله.

وهذا هو المقصود ببعثة الرسل، أن يكون كل مقصودك معبودك فمعنى لا إله إلا الله: لا مقصود إلا الله، كما أنه لا معبود بحق إلا الله ولا رب إلا الله، فلابد أن يتحقق توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وفي المكتوب السابع عشر من المجلد الثالث أيضاً: «إنّ الله هو الخالق الرب المُنعم فيجب على العبد الشكر والعبادة؛ ولكن يجب كون الشكر والدعاء منحصرا في إتيان أحكام الشريعة قلباً وقالباً واعتقاداً وعملاً، وكل تعظيم وعبادة له يؤدى بما وراء الشريعة لا يكون قابلاً للاعتماد، بل كثيرا ما يكون محصلاً للأضداد، والحسنة المتوهمة تكون سيئة في الحقيقة، فأداء شكره تعالى متعذر بدون الإتيان بها، والشريعة لها جُزءان: اعتقادي وعملي:

فالاعتقادي: أصول الدين.

والعملي: من فروعه.

وفاقد الاعتقاد ليس من أهل النجاة، وفاقد العمل أمره مفوض إلى مشيئة الله ﷻ، فشرط صحة الإيمان عدم إشراك شيءٍ بالله تعالى، لا في وجوب الوجود، ولا في استحقاق العبادة، ومن لم يكن عمله مبرأً عن شائبة الرياء والسمعة، ومظنة طلب الأجر من غير الله تعالى، ولو بالقول والذكر الجميل، فليس هو بخارج عن دائرة الشرك، ولا هو بموحدٍ مخلص، ولتعظيم مراسم الشرك ومواسم الكفر كلها قد مراسخ في الشرك، والمصدق للدينين من أهل الشرك، والمتشبث بمجموع أحكام الإسلام والكفر مشرك.

والتبرؤ من الكفر شرط الإسلام، والاجتناب عن شائبة الشرك توحيد، والاستمداد من الأصنام والطواغيت (والأرواح والأموات)

في دفع الأمراض والأسقام كما هو الشائع بين جهلة أهل الإسلام عين الشرك والضلالة، فيكفرون من حيث لا يشعرون، ونذر الحيوان للمشايخ، وذبحه عند قبورهم داخل في الشرك، ولا يجوز إشراك أحد به تعالى في عبادة من العبادات، وطلب الحاجات من غير الله عين الضلالة وتسويل الشيطان الرجيم... إلخ.

الشَّرْح

هذا كلام جيد وعظيم، فالشكر يكون بالعبادة، ولكن يجب كون الشكر والدعاء منحصراً في إتيان أحكام الشريعة قلباً و قالباً واعتقاداً وعملاً، والشكر يكون بشكره بالعبادة، والشكر والدعاء، بماخرج عن الشريعة كما يقوله الصوفية من المعتقدات هذا باطل، فكل تعظيم وعبادة له تؤدى بما خالف الشريعة فهو باطل، وتكون شركاً.

○ قوله: «**والحسنة المتوهمة تكون سيئة في الحقيقة، فأداء شكره تعالى متعذر بدون الإتيان بها**» فبعض الناس يظن حسناً بتعبده وهي بخلاف الشريعة، فيظنها حسنة وهي سيئة، فأداء الشكر لله تعالى متعذر بدون الإتيان بها، فشكر الله يكون بأي: شيء؟ بالعمل الوارد في الشريعة.

○ قوله: «**والشريعة لها جُزءان: اعتقادي وعملي: فالاعتقادي: أصول الدين. والعملي: من فروعه**» فالاعتقادي أن تعتقد اعتقادًا صحيحًا من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والعملي هو: أداء الصلاة والزكاة والصيام والحج وترك المحرمات، فالاعتقادي أصول الدين والعملي فروعه.

○ قوله: «**وفاقد الاعتقاد ليس من أهل النجاة، وفاقد العمل أمره مفوض إلى مشيئة الله ﷻ، فشرط صحة الإيمان عدم إشراك شيءٍ بالله تعالى**»، من فقد الاعتقاد يكون هالكًا وليس من أهل النجاة، وفاقد العمل أمره مفوض إلى مشيئة الله ﷻ، لكن نقول: إذا كان لا يعمل أبداً، فهذا كفر؛ لأن الإيمان لا يتحقق إلا بشيء - فتصديق القلب يتحقق في العمل، وعمل الجوارح يصحح تصديق القلب - والعمل كالصلاة والصيام لابد له من إيمان وتصديق صحيح بالقلب، وإلا أصبحت كأعمال المنافقين، فالمنافقون يصومون ويصلون ويتصدقون، لكن ليس عندهم تصديق فبطل عملهم، وإبليس مصدقٌ، لكن ليس عنده عمل يتحقق به، فلا بد من الأمرين ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [القيامة: ٣١-٣٢].

﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ هذا الاعتقاد، ﴿وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾﴾ هذا العمل، ﴿كَذَّبَ﴾ هذا اعتقاد، ﴿وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ عمل.

فالشخص الذي يقول أنه يقر بلسانه و بقلبه لكن لا يعمل أي: عمل فهو كاذب، فالعمل لا بد منه إذ لا يتحقق الإيمان إلا بالعمل، وقد يكون الإنسان مستكبرًا، كفرعون كفره بالاستكبار، وإبليس بالاستكبار أيضاً.

إذن فلابد من العمل حتى يخلص الإنسان من الاستكبار، ولا بد من التصديق حتى لا يقع في التحريف.

فهما أمران لا يصح الإيمان إلا بهما: تصديق بالقلب حتى لا يقع في التحريف وعمل بالجوارح حتى لا يقع الإنسان في الاستكبار، فإذا لم يصدق صار كافراً بالتحريف، وإذا لم يعمل صار كافراً بالاستكبار.

فلا بد من جنس العمل الذي يصح به الإيمان.

○ قوله: «**لا في وجوب الوجود، ولا في استحقاق العبادة**» سبق لنا أن الشرك شركان:

شرك بذات المعبود.

شرك بالعبادة.

○ قوله: «**ومن لم يكن عمله مبرأً عن شائبة الرياء والسمعة، ومظنة طلب الأجر من غير الله تعالى، ولو بالقول والذكر الجميل، فليس هو بخارج عن دائرة الشرك، ولا هو بموحدٍ مخلص، ولتعظيم مراسم الشرك ومواسم الكفر كلها قدم راسخ في الشرك، والمصدق للدينين من أهل الشرك، والمتشبث بمجموع أحكام الإسلام والكفر مشرك**» هذا يرائي أو يُسَمِّع أو يطلب الذكر أو القول الحسن هذا مشرك ـ كما في الحديث القدسي يقول الله تعالى: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[1].

فهو ليس بخارج عن دائرة الشرك ولا هو بموحدٍ مخلص، وتعظيم مراسم الشرك والكفر كلها هدف راسخ في الشرك والمصدق للدين من أهل الشرك والمتشبث بمجموع أحكام الإسلام والكفر مشرك.

○ قوله: «**والتبرؤ من الكفر شرط الإسلام**» فلا بد من البراءة ؛ لأن البراءة هي الكفر الذي تنفيه كلمة الشهادة «لا إله الله إلا الله» تنفي الإلهية عن غير الله، وهذه هي البراءة من الكفر وهي شرط.

---

(١) أخرجه مسلم: كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، رقم (٢٩٨٥)، وابن ماجه: كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، رقم (٤٢٠٢).

○ قوله: «**والاجتناب عن شائبة الشرك توحيد، والاستمداد من الأصنام والطواغيت (والأرواح والأموات) في دفع الأمراض والأسقام كما هو الشائع بين جهلة أهل الإسلام عين الشرك والضلالة، فيكفرون من حيث لا يشعرون، ونذر الحيوان للمشايخ، وذبحه عند قبورهم داخل في الشرك، ولا يجوز إشراك أحد به تعالى في عبادة من العبادات، وطلب الحاجات من غير الله عين الضلالة وتسويل الشيطان الرجيم... إلخ**» كالذي ينذر أن يذبح خروفًا على روح فلان، أو على روح النبي، أو الدسوقي، أو غيرهم هذا شرك، ولا يجوز إشراك أحد به تعالى في عبادته، وطلب الحاجات من غير الله عين الضلالة، وتسويل للشيطان الرجيم.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال المعصومي: نِعمَ ما قال في هذه المقالة؛ وقد أتى هنا بالحق الصريح الذي ليس وراءه إلا الضلال، ولكنه أخطأ في كثير من المواضع تقليدًا لمشايخه، وحفظًا لشئون طريقته، وصار سببًا لخطأ، بل ضلال كثيرممن اتبعه من بعده من أهل طريقته، كاستمداده من أرواح مشايخه، وروحانية أسلافه، وأمره مريديه بالذكر باللفظ المفرد: الله الله.

وأمره بالمراقبة ومرابطة صورة الشيخ في خياله وقلبه، واختراعه اللطائف الخمس: القلب، والروح، والسر، والخفي، والأخفى، وأمر المريد بالملازمة بالذكر الخاص بكل واحدة منها إلى غير ذلك من الترّهات التي قد بينتها في كتابي: أوضح البيان في تفسير أم القرآن. فعليك به إذا أردت التحقيق، وبالله التوفيق.

الشَّرْحُ

أي: هذا كلامٌ طيب، لكنه عليه أخطاء في أماكن أخرى، وذلك بأنه صوفي يقلد مشايخه في الأذكار، وفي العبادات، مثل أن يستمد الروحانية من المشايخ وهذا شرك، وروحانية أسمائه، وأمره بالذكر المفرد» الله الله»، وهذا ذكر الصوفية، والصوفية يقسِّمون الناس إل ثلاثة أقسام: **عامة، خاصة، خاصة الخاصة. ولكل قسم منهم توحيد.**

القسم الأول: **توحيد العامة**: المؤمنون والمسلمون والأنبياء، وجميع من تبعهم، وهؤلاء عليهم أوامر، وعندهم نواهي، وعندهم

طاعات، وعندهم معاصي وعندهم أذكار «سبحان الله» و«الحمد لله» وعندهم صلاة، وعندهم صيام، وأذكار العامة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له»، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ هنيئًا للعامة إذا كان الرُسُل منهم، فأذكارهم «سبحان الله» و«لا إله إلا الله» و«الحمد لله»، وهذا التوحيد يثبت بالشواهد والأدلة، مثل: السموات، والأرض، والليل، والنهار، والشمس، والقمر، والشواهد من القرآن.

القسم الثاني: توحيد الخاصة: بالرموز، والإشارات، والحقائق، والخاصة: هم الذي ارتقوا عن درجة العامة، ووصلوا إلى حالة أن يلغي صفات الله تعالى وأنه يعلم ما سيكون، وكل ما يفعله طاعة فلا يوجد منه معاصي، فالخاصة لا يوجد عندهم معاصٍ حتى لو كان دليلاً على الشرك وغيرها؛ لأنهم يعبدون بالقلب كما يقول قائلهم: «إن عصيت أمر الله الشرعي فأنا أوفقه بالقلب» فكل ما يعملونه في زعمهم طاعات، وسقطت عنهم التكاليف، ويستدلون بقول الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر: ٩٩]، فإذا وصل إلى العلم سقطت عنهم التكاليف، وأذكارهم «الله، الله، الله» بلفظ مفرد فقط، يجلس جماعة يقولون «الله الله» من بعد العصر إلى المغرب ساعتين أو ثلاث ساعات، ومعلومٌ أنه لابد أن تكون الأذكار جملة مفيدة، فتقول: الله أكبر، سبحان الله، الحمد لله، لا إله إلا الله، أمَّا «الله الله» فليست مفيدة، وهي من الأخطاء الشائعة، وبعض الناس يكتبون «الله» «محمد» فقط، فالأكمل «الله أكبر» «محمد رسول الله»، كتابة «الله» «محمد» قد جعلته لله نداً، وهو من الأخطاء الشائعة.

القسم الثالث: توحيد خاصة الخاصة: هؤلاء ليس عندهم طاعات، ولا معاصي؛ لأن عندهم العبد هو الرب، والرب هو

العبد، وأذكارهم «حرف الهاء» فقط، فـ«الله» طويلة عليهم، يأخذون الهاء «هو، هو، هو، هو»، وهي موجودة الآن إذا خرجت من المملكة تجد في الشام، ومصر، وليبيا، والجزائر، ستجد خمسة طرق «النقشبندية والرفاعية... إلخ» يعتقدون أنها أفضل من القرآن بستة آلاف مرة حتى أنَّ ابن عربي صنف كتاب وسماه «كتاب الهُو»!!.

دليل ذكر الخاصة وهو «الله»: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۚ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩١] هذا دليلهم.

ودليل خاصة الخاصة: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] فيعدون هاء بعد ﷺ فينطقون هكذا: تأويله هو، هذا دليلهم، قال شيخ الإسلام رحمه الله: لو كان مثل ما تقولون لفُصلت الهاء لكنها ليست مفصولة[1] ـ نسأل الله العافية ـ.

○ قوله: «**وأمره بالمراقبة ومرابطة صورة الشيخ في خياله وقلبه، واختراعه اللطائف الخمس: القلب، والروح، والسر، والخفي، والأخفى، وأمر المريد بالملازمة بالذكر الخاص بكل واحدة منها إلى غير ذلك من الترّهات التي قد بينتها في كتابي: أوضح البيان في تفسير أم القرآن. فعليك به إذا أردت التحقيق، وبالله التوفيق**» هذه من شركيات الصوفية مراقبة ومرابطة صورة الشيخ في خياله وقلبه، فيقول: إذا أردت أن تصلي أو تصوم تخيلني أمامك، حتى يعبده، وهذا شرك؛ لأنه يعبده من دون الله.

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٢٧)، (١٠/ ٥٦٠).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فقد ثبت ثبوتاً بيناً أن لا إله إلا الله مفتاح الجنة، ومفتاح دار السلام؛ لكن بشرط كونها خالصة مخلصة.

فلا بد أولاً: من الكفر والتبرؤ من كل الآلهة الآفاقية والأنفسية، ثم إثبات الواحد الأحد المعبود حقاً، وأهم ما نفته هذه الكلمة استحقاق العبادة لغير الله نفياً كلياً، ولأجل هذا أُرسلت الرسل، وجردت السيوف ومن لوازمها العمل بكل ما جاء به محمد رسول الله ﷺ وذلك من مقتضى هذه الكلمة بلا تغيير ولا تزييد.

فمن المنفي الربوبية والخالقية، فلا رب إلا الله، ولا خالق إلا الله، فمن اعتقد أن الملائكة، أو الأرواح تربى تربية بسلطة غيبية فقد أشرك بالله في الربوبية والخالقية، كما هو حال كثير من جهلة القبوريين والطرقيين.

ومن المنفي: القدرة، فلا قدرة لأحد، ولا قادرية أصلاً، فلا قادر إلا الله، ولا قدرة لأحد إلا بالله، فلا حول ولا قوة إلا بالله، فمن اعتقد أن الملائكة أو الأرواح تقدر على شيء بنفسها فقد أشرك بالله في صفة القدرة والقادرية.

ومن المنفي: التصرف في الكون والإحياء والإماتة فلا متصرف في الكون إلا الله ولا محيي إلا الله، ولا مميت إلا الله، فمن اعتقد أن الملائكة أو الأرواح، تتصرف بالكون أو تحيي أو تميت فقد أشرك بالله.

ومن المنفي: الحكم والتحليل والتحريم، فالحاكم الحق حقيقة هو اللهوحده، وهو المُشرع وحده، وهو المحلل وحده، وهو المحرم وحده، فلا حاكم إلا الله ولا مشرع إلا الله، ولا محلل إلا الله، ولا محرم إلا الله، فمن حكم بحلِّ شيء لم يحله الله أو حكم بحرمة شيء لم يحرمه الله، أو شرع ما لم يأذن به الله فقد أشرك بالله.

ومن المنفي: العبادة والمعبودية، وهذا هو الأصل الذي أنزلت هذه الكلمة لأجله، وأرسلت الرسل لأجله، فلا معبود حقاً إلا الله ولا يُعبد حقاً إلا الله بأي: نوع من أنواع العبادة.

وبالجملة: إن الدين قد أُكمل وبُيِّن تمام التبيان، من طرف رسول الله الذي بُعِثَ إلى كافة الأنام من الإنس والجان بالحق والهدى، فالزيادة على ذلك ضلال أي: ضلال، وخسران أي: خسران، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، فمن قالها لفظاً، ولكنه غير معناها، وأفسد تفسيرها وعبد غير الله فقد أتى ببهتان، فلا شك أنه يصير من أهل الخسران، فتنبه.

الشَّرْح

○ قوله: «فقد ثبت ثبوتاً بيناً أن لا إله إلا الله مفتاح الجنة، ومفتاح دار السلام» هذا لا شك فيه، لكن بشرط أن تكون خالصة من الشرك، فلابد أولاً من الكفر والتبرؤ من كل الآلهة، ثم إثبات الواحد الأحد المعبود حقاً، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وأهم ما نفته هذه الكلمة استحقاق العبادة لغير الله نفياً كلياً؛ فلأجل هذا أُرسلت الرسل، وجردت السيوف.

ومن لوازم هذه الكلمة العمل بكل ما جاء به محمد رسول الله من صلاة وصيام وحج.

ولابد من نفي عدة أمور:

الأول: الربوبية عن غير الله، فلا رب إلا الله.

الثاني: الخالقية عن غير الله فلا خالق إلا الله.

فمن اعتقد أن الملائكة لها سلطة غيبية فقد أشرك بالله في الربوبية والخالقية.

الثالث: القدرة، فلا قادر إلا الله، ولا قدرة لأحد إلا بالله، فلا حول ولا قوة إلا بالله، لكن المخلوق له قدرة خاصة أعطاه إياها الله، لكن القدرة المطلقة لله، فمن اعتقد أن الملائكة أو الأرواح تقدر على شيء بنفسها فقد أشرك بالله في صفة القدرة.

الرابع: التصرف في الكون والإحياء والإماتة، فلا متصرف في الكون إلا الله ولا محيي إلا الله، ولا مميت إلا الله، فمن اعتقد أن هناك متصرفًا بالكون غير الله فقد أشرك، ومن اعتقد أن الملائكة أو الأرواح تحيي أو تميت فقد أشرك بالله.

الخامس: الحكم والتحليل والتحريم، فهو من خصائص الله تعالى.

والحكم ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الحكم الشرعي، أي: حكم الله بالشريعة التي أنزلها على أنبيائه ورسله، فالله تعالى هو الحاكم بين عباده.

النوع الثاني: الحكم القدري الكوني، ما يقدره ويمضيه ويحكم به على عباده، فهو يقدّر على هذا المرض، وعلى هذا الفقر، وعلى هذا الغنى، وعلى هذا الحياة، وعلى هذا الموت.

النوع الثالث: الحكم الجزائي يوم القيامة وذلك بأن يحكم الله بين عباده، ويجازيهم بنفسه ﷻ.

فالحاكم الحق هو الله سبحانه، وهو المتصرف وحده فلا محلل إلا الله ولا محرم إلا الله ولا مشرع إلا الله، ولا حاكم إلا الله، فالدين دين الله، فمن شرع أو حرم أو أحل ما لم يأت عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم فهو مشرك.

السادس: العبادة والمعبودية، وهذا هو الأصل الذي أنزلت الكلمة لأجله، وأرسلت الرسل لأجله، فلا معبود حقاً إلا الله، ولا يُعبد حقاً إلا الله بأي: نوع من أنواع العبادة: الذبح، والنذر، والتوكل، والاستغاثة، والرغبة، والرهبة، والصلاة، والصيام، والحج وغير ذلك.

الخلاصة: أن فقد أُكمل الدين وتُمم من طرف رسول الله ﷺ؛ إذ بُعث ﷺ إلى كافة الأنام الإنس والجن، وقد بلَّغ ﷺ البلاغَ المبين، فالزيادةُ على ما جاء به الرسول ﷺ من الكتاب والسنة ضلال وخسران، فمن قالها لفظاً لكن غيَّر معناها أو أفسد تفسيرها أوعبَدَ غير الله فلا شك أنه أتى ببهتان ويصير بذلك من أهل الخسران.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومن إكمال لا إله إلا الله، وإتمام شرح هذه الكلمة، أسماء الله الحسنى التي قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[1] أي: أتى بها عالمًا بمعناها، ومؤمنًا بمنطوقها ومفهومها، ومعتقدًا معناها دخل الجنة؛ لأن هذا الشخص يكون مؤمناً موحداً وعارفاً بصفات الله ﷻ، ومن علم صفته لا شك أنه من أهل الجنة؛ لأنه لا يعبد إلا الله ولا يدعو إلا الله، ولا يسأل إلا الله ولا يرجو إلا الله، ولا يخاف إلا الله، ولا يعتمد ولا يتوكل إلا على الله، ويرى الله دائمًا معه، ويرى الله تعالى دائمًا معه سميعًا بصيرًا رقيباً مجيباً، ولا يعبده إلا بما شرعه.

الشَّرْحُ

قال العلماء في معنى هذا الحديث: أنَّه ليس المراد منه الحصر بأن أسماء الله فقط تسعة وتسعين بل أسماء الله كثيرة، حتى قيل: أنَّ لله ألف اسم، لكن المعنى أن لله تسعًا وتسعين اسماً موصوفة بأن من أحصاها دخل الجنة، وله سبحانه غير ذلك من الأسماء، لهذا جاء في الحديث الآخر: «**أسألُكَ بكلِّ اسم هو لكَ سمَّيْتَ به نفسَكَ أو أنزَلْتَه في كتابِكَ أو علَّمْتَه أحَدًا مِن خَلْقِكَ أوِ استأثَرْتَ به في عِلمِ**

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابٌ: إِنَّ للهِ مِائَةَ اسْمٍ إِلَّا وَاحِدًا، رقم(٧٣٩٢) ومسلم: كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، رقم (٢٦٧٧).

الغيبِ عندَكَ»[١] دل على وجود أسماء استأثر الله بها لا يعلمها أحد، والأسماء ليست محصورة بمائة، لكن معنى الحديث أن أسماء الله موصوفة بأن من أحصاها دخل الجنة، وأُخفيت هذه الأسماء عن الناس حتى يجتهد كل منهم ويبحث في الكتاب والسُّنة، مثلما أُخفيت ساعة الاستجابة يوم الجمعة، حتى قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن فيها أربعة عشر قولًا»[٢].

فأسماء الله كثيرة جداً، ولكن هناك تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة.

ومعنى أحصاها: أن يكون عالمًا بمعناها، مؤمنًا بمنطوقها ومفهومها، معتقدًا معناها، ويعمل بما يمكنه العمل.

○ قوله: «**ويرى الله دائماً معه**» المعية هنا: معية خاصة، وهي معية الحفظ والتأييد، **ولله ﷻ معيتان:**

الأولى: معية عامة للكافر والمؤمن، تشمل الإحاطة، والاطلاع، والحساب، والجزاء.

الثانية: معية خاصة بالمؤمنين والأنبياء، تقتضي الحب، والتأييد، والنصرة، والتوفيق.

(١) أخرجه أحمد في المسند، برقم (٣٧١٢)، وابن أبي شيبة في المسند رقم (٣٢٩)، وفي المصنف (٢٩٣١٨)، وأبو يعلى في مسنده، رقم(٥٢٩٧)، الطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٦٩) رقم (١٠٣٥٢)، وفي «الدعاء» (١٠٣٥)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٧٧) قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ إِنْ سَلِمَ مِنْ إِرْسَالِ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِاللهِ، عَنْ أَبِيهِ فَإِنَّهُ مُخْتَلَفٌ فِي سَمَاعِهِ عَنْ أَبِيه»، فتعقبه الذهبي بقوله: أبو سلمة لا يدرى من هو، ولا رواية له في الكتب الستة.

(٢) انظر: فتح الباري (١١/ ٢٢٤).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو المؤمن المخلص الذي يحفظه الله تعالى من وساوس الشيطان، بل لا يستطيع الشيطان أن يغويه ويضله، كما أخبر الله تعالى في كتابه عنه: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢-٨٣]، ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: ٦٥]، **وفي سورة النحل:** ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ١٠٠].

الشَّرْحُ

هذا المؤمن المخلص الذي يتعرف على أسماء الله الحسنى ويعمل بمعانيها ومقتضاها، ويؤمن بمنطوقها ومفهومها، هو المؤمن الذي يكون ممن يحفظه الله من وساوس الشيطان، ولا يستطيع الشيطان أن يضله، وفي قوله تعالى: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢-٨٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: ٦٥]، وفي سورة النحل: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ١٠٠]، فالمؤمن العابد الموحد لله المتوكل عليه سبحانه ليس للشيطان عليه سلطان، إنما سلطان الشيطان على الذين يتولونه.

الخاتمة

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

نسألك اللهم أن تحفظنا من شياطين الإنس والجن ووسوستهم، فإنه لا حول ولا قوة إلا بك، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا و هب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

قال جامع هذه الوريقات أبو عبد الكريم محمد سلطان المعصومي الخجندي مولدًا والمكي مهاجرًا وموطنًا :

إني فرغت من تحرير ما ألهمني الله تعالى من شرح مفتاح الجنة لا إله إلا الله

فأسأل الله أن يميتني على هذه الكلمة؛ ويجعلها وردي وزادي وغذاء روحي وقلبي؛ ويوفقني إلى فهمها والعمل والاعتقاد بمقتضاها من غير تبديل ولا تحريف.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

[البَقَرَة: ٢٨٦].

وكان ذلك ضحوة يوم الاثنين السابع والعشرين من شهر صفر

سنة ١٣٦٣ هـ في داري المملوكة لي الكائنة في زقاق البخارية من حارة المسفلة من مكة المكرمة قريبًا من المسجد الحرام ـ حرسه الله تعالى إلى يوم القيامة ـ.

تم بعون الله

الشَّرْح

أسأل الله أن يحفظنا وأن يثبتنا على دينه، وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا إنه سميع مجيب.

وأن يوفقنا سبحانه للعمل بمقتضى هذه الكلمة وأن يثبتنا عليها إلى أن نلقاه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس الموضوعات والفوائد

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة:	٥
فصل في الحث على طلب العلم:	٧
فصل في شروط كلمة التوحيد:	١٤
فصل في إعراب كلمة التوحيد:	١٥
مقدمة المصنف:	١٧
ميزان هذا المفتاح ومعياره:	٢٣
سبب دخول البدع والشرك في الدين:	٣١
بيان كمال الشرع وحرمة الابتداع في الدين:	٤٣
حقيقة الأمم أن المطلوب من المؤمن الإيمان بالله والاستقامة على العمل:	٥٠
أدلة أن مفتاح الجنة: «لا إله إلا الله»:	٥٤
أنواع الخلود:	٦٠
الفرق بين أركان الإيمان وأركان الإسلام:	٦٩
الأصول القائمة عليها كلمة «لا إله إلا الله»:	٧٦
الالتزام بحدود الشرع وعدم الغلو في الدين:	٨٠
شروط قبول كلمة «لا إله إلا الله» ونفعها عند الله:	٨٧
الفتنة بالقبور وتعظيم المشاهد والأضرحة من أسباب الوقوع في الشرك:	٩٠
المعنى الصحيح لكلمة: «لا إله إلا الله»:	١٠٠
في كلمة «لا إله إلا الله» نفي وإثبات:	١٠٤
الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي للدخول في الإسلام:	١٠٦
أول ما فرض الله على عباده الإيمان بالله والكفر بالطاغوت:	١١١

الموضوع | رقم الصفحة

معنى العبادة والجامع لها، وأنواعها، وعدم جواز صرف شيء منها لغير الله: ١١٣
الإخلاص والمتابعة هما شرطا قبول العمل وتحقيق شهادة: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»: ١٢٧
فصلٌ مهمٌّ وتنبيهٌ مفيدٌ: ١٣٩
الطرق الصحيح للعبادة: ١٤١
المعنى الصحيح للعبادة: ١٥٣
العبادة عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع: ١٥٦
لا بد من نفي الشرك في العبادة رأسًا والبراءة منه وممن فعله: ١٧١
بيان أنواع الشرك، وبيان بعض صوره: ١٧٩
الشريعة لها جزءان اعتقادي وعملي: ١٨٤
العارف بأسماء الله وصفاته، المؤمن بها، العامل بمدلولها؛ من أهل الجنة: ١٩٦
الخاتمة: ١٩٩
فهرس الموضوعات والفوائد: ٢٠١